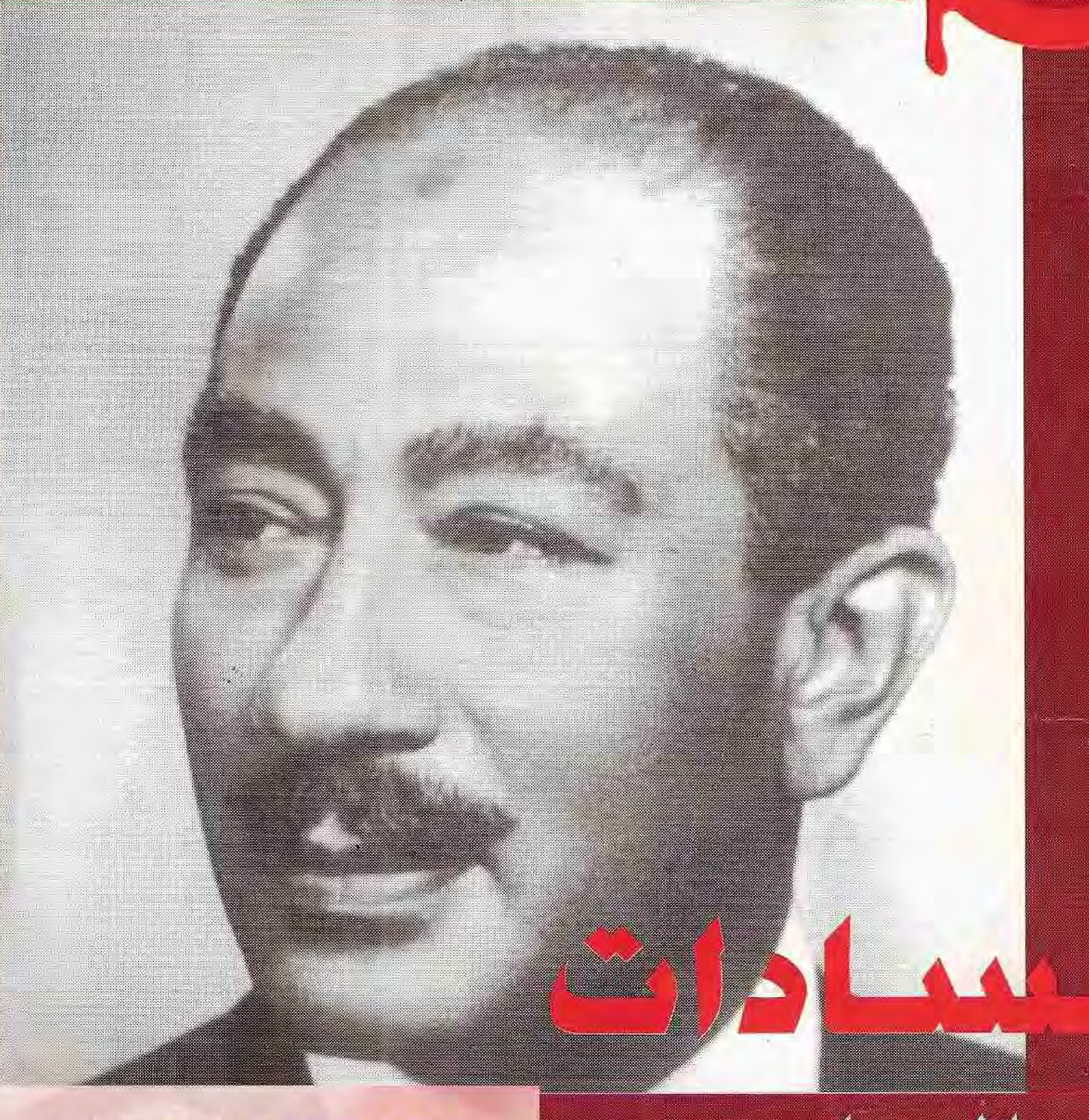
محمود صلاح

أشهر الحوادث والقضايا



السادات والجاسوس

1



أشهر
الحوادث والقضايا
•
الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

السادات والجاسوس

محمود صلاح

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢



أشهر
الحوادث والقضايا
•
الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روّعت الناس
وصدمت المشاعر
•
بقلم
أ . محمود صلاح
•
إشراف
أ . حمدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع : ٨ ، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع : ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ ، فاكس : ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع - ٤ شارع بدوى محرم بك - الإسكندرية .

المقدمة

إلى كل مصرى شريف ..

عرف حق الوطن ..

محمود

الفصل الأول

اسمع يا شيخ حسن ..

أنا أخطط لثورة مسلحة !

■ **القاهرة فى بداية الأربعينات ..**

أكثر من نصف الكرة الأرضية وقد أصبح ساحة مباشرة أو غير مباشرة . لأحداث الحرب العالمية الثانية . التى أشعلت النيران بين أقوياء العالم . هتلر ودول المحور التابعة له من ناحية . والحلفاء من ناحية أخرى . وفى مقدمتهم بريطانيا . التى كانت تحتل مصر منذ سنوات طويلة .

● **بيت مصرى صغير متواضع فى حى كوبرى القبة ..**

فى هذا البيت عاش الصبى محمد أنور السادات . الذى جاءت أسرته من قرية ميت أبو الكوم فى دلتا النيل ناحية إلى العاصمة .

وكان الصبى الأسمر قد رسمت ذكريات القرية أول ملامح شخصيته . فقد أصرت جدته فى طفولته . على أن يلتحق بكتاب القرية . حيث تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن . ليدرس فى مدرسة الأقباط التى لم تكن تبعد كثيرًا عن قريته .

فيما بعد سنوات كثيرة قال : أنا أنور السادات . فلاح نشأ وتربى . على ضفاف النيل . حيث شهد الإنسان مولد الزمان .. هذه قصة حياتى التى هى فى نفس الوقت . قصة حياة مصر منذ ١٩١٨ .. هكذا شاء القدر !

فى القاهرة فتح الصبى أنور السادات عينيه مبكرًا على ما يحدث حوله . وكانت حكايات البطولة وأساطيرها قد ملكت عليه الوجدان . وكان لا يزال يذكر القصص التى كانت أمه تحكيها له أحيانًا وجدته أحيانًا أخرى كل ليلة .

وفى أذنيه وفى خياله كان لا يزال يتردد (موال زهران) بطل دنشواى . التى علق فيها الإنجليز المشانق لأبرياء فلاحينها . وكان الانفعال يستبد بمشاعره . وهو يتخيل شجاعة البطل الريفى (زهران) . الذى تصدى للإنجليز وقتل أحدهم .

وكان الصبى أنور السادات يصل بمشاعره إلى ذروة الانفعال . وهو يتمثل كيف تقدم البطل (زهران) من المشنقة مرفوع الرأس مزهوًا فخورًا بشجاعته .

وطالما همس الصبى أنور السادات لنفسه : آه .. لو كنت زهران !

وعاش سنوات الدراسة الثانوية فى ظروف الفقر تحكمه قيم القرية . كان مصروف يده فى المدرسة مليمين فى اليوم . لكنه كان يحس أنه أسعد إنسان فى العالم .

ولم يكن يضايقه فى القاهرة شىء على اختلافها عن القرية . سوى مشهد (الكونستابل) الإنجليزى . يجوب الشوارع ليل نهار على موتوسيكله . كالمجنون بلا انقطاع . بوجهه الذى فى لون الطماطم ..

فظ .. بليد .. وعينيه الجاحظتين وفمه المفتوح دائمًا كفم الأبله .. ورأسه المنتفخة يغطيها طربوش طويل قرمذى يصل إلى أذنيه !

وكان الجميع يخشون الكونستابل الإنجليزى ..

وكان الصبى أنور السادات يكره النظر إليه ..

● ويتساءل بينه وبين نفسه : ما الذى أتى بهذا الغريب القبيح المنظر إلى القاهرة ؟

- ويرد الصبى على سؤال نفسه معلقا : لو جاء هذا الكونستابل الإنجليزى إلى قريتنا . لما استطاع أن يسير خطوة واحدة .. لكنه لم ولن يأتى لأنه لا يجرؤ !

● عام ١٩٣٦ ..

أنهى الصبى أنور السادات دراسته الثانوية ..

وفى نفس العام عقدت المعاهدة الشهيرة « معاهدة ١٩٣٦» . والتى سمح فيها بأن يتسع الجيش المصرى .. ويزيد عدد ضباطه وجنوده . وكانت فرصة لأبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة أن يلتحقوا بالكلية الحربية . ومنهم الشاب أنور السادات . الذى دخل الكلية بوساطة من طبيب إنجليزى . وهو الذى يكره الإنجليز ويتمنى رحيلهم عن مصر إلى الأبد !

وفى سنة ١٩٣٨ تخرج الشاب أنور السادات من الكلية الحربية .. وكان قد كبر وتفتحت مداركه كثيرًا . ومشاعره الوطنية أصبحت لا تقتصرعلى (زهران دنشواى) . وأعجب بنضال مصطفى كامل وشجاعة أحمد عرابى .

وفى كل يوم وفى كل ليلة ، كان الضابط المصرى الشاب أنور السادات يحلم بأن يكون بطلاً مثلهم . وأن يقود فى بلاده ثورة ضد الإنجليز ، تخلص الشعب منهم ومن احتلالهم الظالم .

ولم يقتصر أمر أنور السادات على الأحلام !

وبدأ يتحرك داخل صفوف رفاقه من الضباط الشبان فى الجيش . ويحرضهم ضد الأوضاع السائدة وضد البعثة العسكرية البريطانية . وهم يحتسون أكواب الشاى فى حجرته بميس الضباط فى منقباد .

● وذات ليلة ..

وفى إحدى جلسات الضباط هذه . رأى الضابط أنور السادات الضابط جمال عبد الناصر لأول مرة ، بعد أن لحقت كتيبته بكتيبة السادات فى منقباد . وكان عبد الناصر ينصت إلى مناقشات الضباط باهتمام . لكنه لم يكن يتكلم إلا فى القليل النادر .

وشعر أنـور السادات بأن هذا الضابط ـ جمال عبدالناصر ـ شـاب جاد لا يميل إلى المزاح . ولا يقبـل أن يضاحكـه أى إنسـان ، لأنـه يرى فى هذا مساسًا بكرامته ، ويقيم بينه وبين الناس حـاجزًا مـن الصعب اجتيازه .

كان جمال عبد الناصر أيامها منطويًا علـى نفسـه بشكل يلفت النظر ..

ووجد أنور السادات نفسه معجبًا بشخصية جمال عبد النـاصر . ونشأت بينهما ـ عن بعد ـ علاقة احترام متبادل .

ومضـت الأيام وازداد نشاط أنـور السـادات الوطنى . وشـجعته هزائم الإنجليز أمام هتلر فـى معارك الحرب العالمية الثانية . على توسيع دائرة اتصالاته برفاقه الضباط الشبان فى الجيش . وأنشـأ أول تنظيم سرى مـن الضـباط فى نفس العـام . وكـان الضـابط عبد المنعم عبد الرءوف هو الرجل الثانى فى هـذا التنظيم . الـذى كان يضم من الضباط عبد اللطيف بغـدادى وحسـن إبراهيم وخـالد محيى الدين وأحمد سعودى وحسن عزت وأحمد إسماعيل .

● فى نفس السنة ..

بدأ الضـابط أنـور السـادات يواظب حضور « درس الثلاثاء » . الذى كان يلقيه الشيخ حسن البنا ، المرشد العام للإخوان المسلمين . كل أسبوع بعد صلاة المغرب . فى مقر مركزهم بالحلمية الجديدة .

ورغـم أن أنـور السـادات أدرك أن الإخــوان المسـلمين . قـوة لا يستهان بهـا ، لكـن لـم يعجبـه منظـر الإخوان وهـم يقبلـون يـد المرشد العام !

لكـن السـادات أدرك مـن البدايـة أهــداف الإخـوان السياسـية . وكان يتصور أنها مجرد جماعة دينية هدفها إحيـاء قيم الإسـلام . ومـن ناحيتـه ، فقـد أثـار انتبـاه الشـيخ حسـن البنـا هـذا الضـابط الشاب الأسمر الذى يتردد علـى الإخـوان . وكـان يريد أن يعرف نواياه وما يدور فى رأسه ! لكنه كان يتعمد التحفظ والحـرص فـى الحديث معه !

● وذات يـوم ..

ـ فاجأه أنور السادات قائلاً : اسمع يا شيخ حسن .. واضـح إنـك حريص أكثر من اللازم فـى الحديث معى . وأنـا لا أرى داعيًا لذلك .. بصراحة أنا أسعى إلى عمل تنظيم عسكرى هدفه قلب الأوضاع فى البلد !

وفوجئ مرشد الإخوان بهذه الصراحة المذهلة ..

وألزمتـه دهشـته الصمت . وربمـا سيطر عليـه حذره مـن أن يكون هذا الضابط من المخابرات مدسوسًا عليه منها ..

ـ لكن أنور السادات قطـع صمت الشيخ مستدركًا : نعم.. أنـا أسعى لثورة مسلحة .. ومعى عدد كبير من الضباط من كل أسلحة الجيش . وحركتنا تسير !

وهنـا تخلـى الشيخ حسن البنـا عن حـذره . وبـدأ يسـأل أنـور السادات عن تنظيمه السرى . وعدد أفراده . وقوتـه . وأعمـالهم داخل أسلحة الجيش المصرى . وفى النهاية طلب من السـادات أن يتم التنسيق بين تنظيمه وبين الإخوان المسلمين !

ـ لكن السادات رد عليه قائلاً : لقد صارحتك بكل شىء .. وأحـب أن أقول لك بنفس الصراحة : نحن تنظيم لا يخضع ولا يعمل لحساب أى حزب أو هيئة ، وإنما لمصلحة مصر ككل . وأرجو أن يكـون ذلك واضحا من البداية !

ورغم أن حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين . قد وافق السادات على ما قالـه . إلا أن الإخوان سرعان مـا قـاموا بتجنيد عبـد المنعم عبـد الـرءوف . الرجـل الثـانى بعـد السـادات فـى تنظيم الضباط الأحرار !

وكان حسن البنا نفسه هو الذى سعى لتقديم الضابط أنور السـادات إلى الفريق عزيز المصرى . بنـاء على رغبـة السـادات الذى كـان مفتونًا بشخصية عزيز المصرى الأسطورية ـ والذى كان يكره الإنجليز ـ حتى إن سير مايلز لامبسون السفير البريطـانى فـى مصـر . طلب إبعاده عن الجيش . لكن تم الاكتفاء بإعطائه إجازة مفتوحة !

وصـارح أنـور السـادات عزيـز المصـرى بـأمر التنظيم السـرى للضباط . وشجعه عزيـز المصـرى بالنصـائح وحـذره بـأن يتوخـى وزملاؤه الحذر ، حتى لا ينال من تنظيمهم أى غدر أو خيانة .

واستمر أنــور الســادات علـى علاقتـه بعزيــز المصـرى والإخوان المســلمين ، فى الوقـت الذى بدأ فيـه توسـيع دائـرة الضـباط الأحــرار .

وكانت الأحداث على مستوى العالم تلتهب يومًا بعد يوم .

وكانت جيوش هتلر تجتاح أوروبـا وتلحـق الخسـائر بالحلفـاء . وبدا أن بريطانيا العظمى تتضاءل أمام زحـف قـوات هتـلر ، وكـان الجيش المصـرى يشـترك مـع القـوات البريطانيـة فـى الدفـاع عن الصحراء الغربية ضد قوات المحور .

وكانت هذه المسألة تضايق معظم الوطنيين فى مصر ..

كيف تحارب مصر لحساب بريطانيا ، وبريطانيا فى نفس الوقت تحتل مصر ؟

● وازداد سخط المصريين على ذلك ..

ـ وقـال الشيخ محمـد مصطفى المراغى شيخ الأزهر : لا نـاقـة لنا ولا جمل فى هذه الحرب !

وكان قد تـم نقل الضـابط أنـور السـادات ليعمـل كضـابط إشـارة لآلاى المدفعية فى مرسى مطروح . لكن على ماهر رئيـس وزراء مصـر أغضب الإنجليز عندمـا أعلـن فـى البرلمـان : إن سياسـة مصـر ، هـى تجنب ويـلات الحـرب . فطلب الإنجليز مـن الجيـش المصرى الانسـحاب مـن مواقعـه ، وأن يسـلم الضـباط المصريـون أسلحتهم قبل انسحابهم من هذه المواقع .

● وانتهز السادات الفرصة !

وبـدأ يحـرض الضبـاط ويثـير مشاعرهم ضد مسألة تسـليمهم أسلحتهم ، ووافقه كل الضبـاط . حتـى اضطرت إدارة الجيش فـى النهاية على أن تأمرهم بالانسحاب مع الاحتفاظ بأسلحتهم !

ولـم يمـض سـوى وقت قليل حتـى تـورط السـادات فـى عمليـة تهريب عزيز المصرى إلى خارج البلاد !

فقد طلب عزيـز المصـرى مـن السـادات أن يقابلـه فـى محـل جروبـى . وهنـاك أخبـره أن الألمــان طلبــوا منــه أن يسـافر ليسـاعد رشـيد عالى الكيـلانى فـى ثورتـه ضـد الإنجليـز بالعــراق . وطلب عزيز المصرى من السـادات أن يسـاعده علـى الهروب سرًا من مصر !

ورغم أن المخابرات كانت لديها معلومات عن اتصالات السادات بعزيز المصرى . ورغم أنهم أنذروه بالابتعاد عنه . إلا أن مشاعر السادات الوطنية جعلته يضرب هذا التحذير والإنذار عرض الحائط .

وقـال عزيـز المصرى للسـادات إن الألمـان بعثـوا لــه برسـالة يقولون له فيها : إن طائرة ألمانية ستكون فـى انتظـاره عنـد جبل « رزة » بالقرب من صحراء الفيوم .

● ووضع السادات خطة لتهريب عزيز المصرى ..

وقام بشراء سيارة من نوع « البيك أب » التى تصلح للسير فى الصحراء . لينقل فيها عزيز المصرى إلى مكان الطائرة الألمانية . لكن المخابرات اكتشفت أن السادات اشترى السيارة . فصدرت أوامـر بنقلـه إلـى منطقـة « الجراولـة » بمرسـى مطـروح . ليضطـر إلـى وضع الأمر بين يدى رفيقه الضابط عبد المنعم عبد الرءوف .

والـذى حـدث أن عبـد المنعـم عبد الـرءوف وحسين صـبرى ذوالفقـار وكلاهمـا طيـار ـ استوليا على طـائرة حربيـة ـ ووضعا فيهـا عزيـز المصـرى ليطيـرا بـه إلى بيـروت . لكن ما أن أقلعت الطـائرة حتـى اكتشـف الطيار حسين صبرى ذو الفقـار أن وقـود الزيت قد نفذ . واضطر إلى الهبوط فوق شجرة بالقرب من مدينة بنهـا !

هكذا انكشفت محاولة تهريب عزيز المصرى ..

وتم القبض على أنور السادات . واقتيد من مكان عمله فى منطقة « الجراولة » إلى القاهرة تحت الحراسة . حيث ذهبوا مباشرة إلى مكتب إبراهيم عطا الله باشا رئيس أركان الجيش المصرى !

• وفى تحقيق النيابة فى الحادث ..

راوغ السادات وكيل النيابة .. رغم اعترافه بأنه كان على صلة بعزيز المصرى . الذى لم يجد أمامه فى النهاية سوى الإفراج عن السادات . الذى واصل نشاطه السياسى السرى .

• وجاءت سنة ١٩٤٢ ..

وكان القائد الألمانى الشهير « روميل » قد وصل بدباباته إلى ليبيا ..

وشعر الإنجليز أن الرأى العام المصرى ضدهم . فطلبوا من الملك فاروق تكليف مصطفى باشا النحاس بتشكيل الوزارة لعل ذلك يهدئ من خواطر المصريين . ولما رفض الملك حاصر الإنجليز قصر عابدين بالدبابات . وأجبروا فاروق على تكليف النحاس بتشكيل الوزارة .

وتصاعد شعور المصريين المعادى للإنجليز ..

وخرجت مظاهرات المصريين تهتف فى شوارع القاهرة ! إلى الأمام يا روميل !

وكانت العلمين قد سقطت فى يد روميل . الذى أصبح على بوابة مصر الغربية ..

ويدأ السادات يحرض زملاءه على أن يرسلوا ضابطًا مصريًا إلى روميل فى العلمين . ليخبره بأمر التنظيم السرى للضباط المصريين . واستعدادهم للمشاركة فى الحرب إلى جانبه ضد الإنجليز مقابل أن تنال مصر استقلالها التام بعد هزيمة الإنجليز !

وأقلع الطيار أحمد سعودى بهذه الرسالة على طائرة حسن إبراهيم الحربية ، والتى كانت بريطانية من طراز « جرادياتور » . لكن الألمان أطلقوا النار عليها فوق العلمين ، فانفجرت واستشهد الطيار أحمد سعودى .

وكان السادات فى ذلك الوقت يعمل فى سلاح الإشارة فى الجبل الأصفر ..

• وذات يوم جاءه زميله حسن عزت ..

ـ وقال له : عندى لك مفاجأة .. إن ضابطين من الجيش الألمانى يطلبان منك المساعدة !

• كان الخبر مفاجأة بالفعل للسادات ..

مفاجـأة فـرح بهـا واعتبرهـا نجـدة مـن السـمـاء ، ليحـارب الإنجليز فى أى مجال .

وكانت بداية مغامرة السادات مع أغرب قصة جاسوسية ..

أبطالها .. ضابطان ألمانيان .

وراقصة مصرية !

الفصل الثانى

ارقصى يا حكمت .. رقصة طبرق !

■ فيينا .. عام ١٩٣٨

كانت عاصمة النمسا تعيش بحق « ليالى الأنس » قبل نشوب الحرب العالمية الثانية . وتسهر ملاهيها ومراقصها طوال الليل وحتى مطلع الفجر . تزدحم بالآلاف من النمساويين والسياح القادمين من بلدان أوروبا المجاورة .

وكان الكثيرون من هؤلاء يقصدون أحد ملاهى فيينا الشهيرة ، الذى كانت جدرانه الخارجية تتزين بصور كبيرة مضيئة لراقصة شرقية مصرية . تعدت شهرتها حدود مصر إلى أوروبا .

كانت هذه الراقصة هى حكمت فهمى . والتى بدأت شهرتها فى « كازينو بديعة مصابنى » ، فى ميدان إبراهيم باشا بجوار فندق الكونتننتال ، والذى كان مقرًا للقيادة البريطانية فيما بعد أثناء الحرب العالمية الثانية .

وحتى قبل الحرب العالمية الثانية فقد كان « كازينو بديعة » ملتقى للضباط الإنجليز ، الذين كانوا يقضون لياليهم فى هذه الكازينو وفى ملاهى منطقة الكيت كات ، حيث يغرقون مشاعر الوحدة والتوتر قبيل أزمة الحرب . بين كئوس الشراب وتمايل الراقصات الشرقيات .

ولم تكن حكمت فهمى مجرد راقصة جميلة موهوبة فى الرقص الشرقى ، لكنها كانت أيضًا فنانة . وعملت بالتمثيل مع فرق مسرحية شهيرة مثل فرقة على الكسار وفرقة جورج أبيض وفرقة فاطمة رشدى . وعملت فى السينما وقامت ببطولة فيلم « المتشردة » .

وذاع صيت الراقصة حكمت فهمى فى طول مصر وعرضها ..

كانت رائعة الجمال . حتى إن الشاعر أحمد رامى كتب فيها حوإلى ربع ديوانه الأول !

وفى ذلك الوقت كان لكل راقصة لقب تشتهر به ، وكان لقب حكمت فهمى هو « سلطانة الغرام » !

والذى أطلق عليها هذا اللقب .. كان أحمد رامى نفسه !

● وفى ليلة من ليإلى شهر مارس ١٩٣٨ ..

كانت حكمت فهمى ترقص فى واحد من أشهر ملاهى فيينا . وكانت تؤدى رقصة شهيرة اسمها « رقصة الموت » . عندما لاحظت أن شابا وسيما من رواد الملهى لا تفارق نظراته جسدها وهى ترقص . وكانت نظرات كلها وله وهيام .

وبعد أن انتهت من « رقصة الموت » ..

فوجئت بالشاب الوسيم يدق باب حجرتها . ليعبر لها عن إعجابه الشديد بها . وفوجئت بأنه يحدثها باللغة العربية ويقدم نفسه لها على أنه طالب مصرى يدرس فى ألمانيا !

● وقال لها : اسمى .. حسين !

ـ قالت له : تشرفنا .

ولم ينصرف قبل أن يصر على دعوتها لتناول الغداء معه فى اليوم التالى .

وذهبت حكمت فهمى إلى دعوة الغداء ..

وبهرت بحسين جعفر الشاب المصرى الوسيم ، الذى كان يتصرف ويتحدث معها بأسلوب « الجنتلمان » ، الذى يعرف كيف يستميل قلوب النساء إليه . واستطاع بحديثه المعسول وثقافته أن يدخل مباشرة فى قلب « سلطانة الغرام » . الذى عجز كثيرون من المشاهير والعظماء حتى عن دق أبوابه !

ولم تكن النمسا هى العاصمة الأوروبية الوحيدة التى رقصت فيها حكمت فهمى ..

كانت قبل ذلك قد سافرت إلى ألمانيا ..

ورقصت أمام هتلر .. ووزير دعايته جوبلز .

والمهم أن قصة حب سريعة ربطت بين حكمت فهمى والشاب الوسيم المصرى « حسين » فى فيينا .

كانت قد أمضت معه ليلة من ليالى العمر ..

لكنه اختفى فجأة ..

ولم يظهر كما تعود فى الليلتين السابقتين فى الملهى الذى كانت ترقص فيه .

وافتقدته حكمت !

وظلت كل ليلة تنتظر ظهوره فى الملهى .

لكنه أبدا .. لم يظهر !

ولم تكن حكمت فهمى مجرد راقصة عادية !

كانت بحق .. مصرية حتى النخاع .

كانت مصر فى ذلك الوقت وقبله تحت الاحتلال البريطانى ..

وكانت حكمت فهمى مثل ملايين المصريين تكره الإنجليز ، وتتمنى رحيلهم إلى الأبد عن مصر .

وعاشت وهى تذكر حادثة مؤلمة وقعت لها وهى طفلة صغيرة . جعلت كراهية الإنجليز تتعمق فى قلبها .

وقد وقعت لها هذه الحادثة وهى طفلة تسير فى الشارع . وفجأة وجدت نفسها وسط مظاهرة لشباب مصريين يهتفون ضد الاحتلال الإنجليزى . وفجأة بدأ الجنود الإنجليز يطلقون هراواتهم ورصاص بنادقهم على المتظاهرين . الذين أسرعوا بالجرى فى كل اتجاه ..

وأصيبت الطفلة الصغيرة حكمت فهمى بالرعب ..

ولم تعرف ماذا تفعل وسط الحشود الهاربة ، ولم تستطع الجرى ، وسقطت على الأرض وهى تبكى فى فزع . وفجأة اقترب منها كونستابل إنجليزى بطربوشه الأحمر ، وانهال على الطفلة الصغيرة ضربًا بكرباجه ، انتقامًا من المتظاهرين الذين لم يستطع اللحاق بهم !

• وصرخت الطفلة حكمت ..

لكن الكونستابل الإنجليزى القاسى لم يرحم صرخاتها ولا طفولتها !

وظل يضربها بالكرباج .. حتى أغمى عليها !

وأفاقت الطفلة حكمت فهمى لتجد نفسها فى المستشفى.. وآثار الضرب بالكرباج على جسدها النحيل تنزف دما !

وكرهت الصغيرة حكمت الإنجليز من قلبها ..

وكبرت .. وهى تكرههم .

وعندما أصبحت راقصة شهيرة فى ملاهى القاهرة . وجدت الضباط الإنجليز الذين يترددون على هذه الملاهى ، يغدقون عليها الأموال والهدايا .. مقابل نظرة رضاء واحدة منها !

وعرفت بذكاء الأنثى كيف تلعب بالضباط الإنجليز كقطع الشطرنج !

• ونشبت الحرب العالمية الثانية ..

وعادت حكمت فهمى من ألمانيا حيث كانت ترقص فى ملاهيها . لترقص فى ملهى « الكونتينينتال » بالقاهرة .

وبدأت جيوش هتلر تزحف على بلدان أوروبا . وتحتلها واحدة بعدَ الأخرى ..

ولم تكن جيوش هتلر وحدها هى التى تحارب الحلفاء .. وانما جهاز مخابراته أيضًا .

وكانت المخابرات الألمانية أول جهاز مخابرات يستعين بالنساء الجميلات فى أعمال التجسس بشكل منظم . فقد أمر « رينهارد هيدرنج » رئيس المخابرات الألمانية فى عام ١٩٣٩ بتكوين شبكة جاسوسية من الألمانيات الحسناوات ، الذين تم توزيعهن للعمل فى الملاهى الليلية والحانات ، وهن مزودات بأجهزة تسجيل خاصة !

وكان « رينهارد هيدرنج » رئيس المخابرات الألمانية قد شاهد حكمت فهمى وهى ترقص فى النمسا ، فدعاها للرقص فى ألمانيا .

هكذا رقصت حكمت فهمى أمام هتلر ووزير دعايته جوبلز !

وأعطى جوبلز تعليماته لرجال المخابرات الألمان بأن يضعوا أعينهم على الراقصة حكمت فهمى ، وأن يعملوا على تجنيدها لصالح الألمان ، الذين كانوا يعرفون حجم وتشعب علاقاتها مع كبار الضباط الإنجليز بالقاهرة .

● وعادت حكمت فهمى إلى القاهرة ..

لكنها لم تنس أبدا الشاب المصرى الوسيم حسين .. الذى قابلته فى فيينا !

ولم تتخيل أبدا أنها سوف تراه مرة أخرى .

وفى القاهرة !

وأنه ـ الشاب المصرى الوسيم حسين ـ سيكون هو نفسه الجاسوس الألمانى الشهير « إبلر » .

● وأن الاثنين ..

ومعهما أنور السادات .. الضابط المصرى الأسمر المتحمس للألمان ضد الإنجليز ، سوف يكونون ـ الثلاثة ـ أبطال أكبر قضية جاسوسية فى ذلك الوقت !

لكن من هو .. حسين جعفر ؟

أو الجاسوس الألمانى .. إبلر؟

كان حسين جعفر فى الحقيقة ـ كما يقول الكاتب الصحفى عبد الله امام ـ ألمانيا وليس مصريًا ، وكانت أمه الألمانية تعمل فى مدينة بورسعيد وكانت متزوجة من شخص ألمانى ، وبعد أن أنجبت منه الطفل « إبلر » انفصلت عنه . ثم أحبها وارتبط بها محام مصرى شاب ـ أصبح قاضيا فيما بعد ـ اسمه صالح جعفر وتزوجها ، وتبنى ابنها الصغير « إبلر» وأعطاه اسمه ، فأصبح اسمه (حسين جعفر) !

● وسافر الشاب الألمانى حسين جعفر إلى ألمانيا ..

والتقطته المخابرات الألمانية وقامت بتجنيده ، لأنه كان يتحدث اللغة العربية بطلاقة ، ويعرف كل صغيرة وكبيرة فى مصر. وتم تدريبه على أساليب التجسس .

وربما كانت أول مهمة للجاسوس « إبلر » كانت التعرف على حكمت فهمى وهى ترقص فى ملاهى فيينا !

ولم تكن المخابرات الألمانية تلعب وهى تدبر هذا اللقاء بين جاسوس ألمانى . يحمل غطاء مصريًا مناسبًا . وبين أشهر راقصة مصرية . يعرف الجميع . أنها تكره الإنجليز بشدة رغم تعاملها معهم !

● وذات يوم ..

أعطى رئيس المخابرات الألمانية موافقته على ملف سرى للغاية يحمل عنوان « عملية كوندور » !

وكان هدف العملية هو زرع جاسوس ألمانى فى قلب القاهرة . لمساعدة القائد الألمانى « روميل » ، وامداده بالمعلومات عن الاستعدادات العسكرية البريطانية ، فى معركته الحاسمة ضد جيوش الحلفاء فى شمال إفريقيا .

وكانت المخابرات الألمانية قد اختارت بطلاً لهذه العملية الخطيرة ..

وكان هذا البطل هو .. حسين جعفر .. أو « إبلر » !

وسقطت طبرق فى يد « روميل » ..

الذى انطلق يطارد بقايا الجيش الثامن البريطانى عبر الحدود المصرية .

وعمت الفرحة والسعادة قلوب المصريين الذين كانوا كلهم يكرهون الإنجليز ويتمنون زوال الاحتلال البريطانى من مصر . وكان معظم المصريين ـ مثل الفريق عزيز المصرى والضابط

أنور السادات ـ سعداء بقدوم « روميل » . الذى سوف يخلصهم من الاحتلال البريطانى .

وكانت سعادة المصريين تزيد عندما تواترت الأنباء عن اقتراب « روميل » من العلمين ..

● وفى تلك الليلة ..

كانت حكمت فهمى ترقص حتى الفجر فى ملهى الكونتيننتال الملىء بكبار الضباط البريطانيين ..

وكانت حكمت ترقص بمزاج !

فقد كانت سعيدة للغاية بانتصارات الألمان واقترابهم من حدود مصر .

ونهض ضابط بريطانى كبير مخمور من مائدته يتمايل مع رقصة حكمت فهمى . وقال لها بصوت متهدج :

ـ سيدتى .. أنت مثل حدائق بابل المعلقة .. إحدى عجائب الدنيا السبع !

ولم يشعر الضابط الإنجليزى المخمور بالمصريين حوله فى الملهى وهم سعداء ولكن لسبب آخر . وهم يصيحون من على موائدهم :

ـ ارقصـى رقصــة طبـرق يا حكمــت !

ورقصت حكمت فهمى فى تلك الليلة .. رقصة طبرق .

وفـى الليـالى التاليـة .. رقصت رقصــة أغـرب وأكـبر رقصــة جاسوسية فى تاريخ مصر والحرب العالمية الثانية !

الفصل الثالث

مهمة سرية .. فى قلب الصحـراء !

■ الصحراء الغربية .. عام ١٩٤٢

قيظ شمس الصحراء فى صباح يوم ١١ مـايو . يسقط على واحـة « جيـالو » الصغيرة ، التـى اتخذهـا القـائد الألمـانى الفيلـد مارشال روميـل مقــرًا لقيـادته للجيـش الألمــــانى ، الـذى كـان يتقدم حثيثا نحو الحدود المصرية .

كانت نار الحرب العالمية الثانية قد استعر أوارها ..

وكـان روميل داهيـة العسكرية الألمانيـة قد حقق الكثير مـن الانتصارات فى قلب الصحراء على الجيش البريطـانى ، وانطلقت دباباته نحو بوابة مصر الغربية .

وفى ساعة مبكرة من هذا الصباح ..

وبينمـا كـان الكثير من العـاملين فـى مقـر قيـادة روميـل لـم يستيقظوا بعد . تسلل الفيلد مارشال فى هدوء من المقر . ولم يكن يرافقه سوى عدد بسيط مـن حراسـه الشخصيين . استقلوا خلف سيارته سيارة جيب عسكرية . وانطلق الموكـب الصغير إلـى مرتفعات الصحراء الغربية دون أن يشعر بهم أحد !

وكان روميل وحده هو الذى يعرف إلـى أين تتجـه القافلـة . ومضى يرشد قائد سيارته عبر دروب الصحراء . لأكثر من ساعة حتـى ظهرت خلف تل مرتفع . بضع أشجار صحراوية تتكاتف مثل دغل برى وحيد !

● كان المكان يوحى بالا حياة فيه !

لكـن ما أن اقتربت قافلة القائد روميل ، حتى ظهر من خلف هـذه الأشجار ، ثمانية رجال لا توحى ملابســـهم بأنهم عسكريين . أو أنهم ألمان . رغم أنهم كانوا كذلك بالفعل !

واصطف الرجال الثمانى فى طابور عسـكرى ، ورفعوا أيـاديهم على الطريقة الألمانية يؤدون التحية العسكرية لروميل !

تقدم الفيلد مارشال روميل خطوة نحو طابور الرجال الثمانية ..

ثم توقفت أمام ضابطهم الألمانى إبلر فصافحه بحرارة وهو يقول له : أتمنى لك النجاح فى مهمتك يا إبلر . كل شىء الآن أصبح يتوقـف على نجاحك . وفى اسـتطاعتك أن تسـاعدنا علـى تحقيق انتصـار هتلر هنا .. فى قلب أفريقيا !

حيا الضابط الألمانى إبلر قائده .. ورد قائلاً :

ـ قائدى العظيم .. حين تدخل القاهرة على رأس الجيش الألمانى .. فستجدنى هناك فى انتظارك !

★ ★ ★

كان هؤلاء الألمان الثمانية على وشك القيام بأخطر مهمة سرية جاسوسية لحساب ألمانيا .

ولم يكن هناك سوى عدد قليل للغاية من القيادات الألمانية يعلم بوجود هذه المهمة الخاصة . ولا بشخصيات الرجال الذين سيقومون بها . وكانوا فى الأصل مجموعة مختارة من أمهر رجال الكوماندوز الألمان .

ولم يبق روميل معهم كثيرا . بعد أن انتحى جانبا بالضابط « إبلر » ..

● وقال له : لو استطعت أن تحصل لى على المعلومات التى أريدها . فسيكون فى استطاعتى أن أكون فى القاهرة قبل نهاية هذا الصيف . يجب أن أعرف الخطة العسكرية البريطانية . وأين سيركزون دفاعهم . كم عدد القوات البريطانية الموجودة لديهم فى مصر. وما نوع هذه القوات . وأريدك أن تعرف الإجابة على سؤال مهم هو « هل سيساعدهم الجيش المصرى إذا بدأت المعركة ؟ »

استمع « إبلر » جيدًا إلى كلمات روميل ..

ثم أدى له التحية العسكرية ..

واستدار متجهًا إلى رجاله . وسرعان ما ركبوا سيارتين من السيارات البريطانية الحربية . تم إعدادها خصيصًا لهذه المهمة الخاصة . والتى لم تكن مهمة سهلة بحال من الأحوال !

كانت المخابرات الألمانية قد قررت زرع جاسوس ألمانى ومساعد له

فى القاهرة . للحصول على المعلومات العسكرية التى يطلبها روميل حول الجيش البريطانى الذى سيواجهه على أبواب مصر الغربية .

وكانت المخابرات الألمانية قد أرسلت قبل اسابيع اثنين من أمهر الجواسيس الألمان إلى القاهرة ..

الجاسوس الأول كان اسمه « كلين » والثانى اسمه « موهيلميزش » ركبا طائرة إلى مصر . لكن الطائرة سقطت فوق البحر. ولقى كلين مصرعه بينما أصيب زميله .

لكن الفيلد مارشال روميل تفتق ذهنه عن خطة عبقرية !

لماذا لا يتم إرسال جاسوسين آخرين إلى القاهرة عن طريق الصحراء !

إن فى إمكان الكوماندوز الألمانى ـ بعد أن يتنكر فى شخصيات عسكريين بريطانيين ـ أن يخترق الصحراء بالجاسوسين . ثم يتركهما بالقرب من صحراء أسيوط فى صعيد مصر . ومنهما يستطيعان الوصول إلى القاهرة . والاختلاط بالضباط والجنود البريطانيين . للحصول منهم على المعلومات العسكرية المطلوبة !

واقتنعت المخابرات الألمانية بفكرة روميل ـ الذى كان متحمسًا بشدة ـ حتى إنه اختار الكونت المجرى « المازى » ليكون قائدا لهذه المهمة فى الصحراء . ليوصل الجاسوسين إلى قرب أسيوط !

ووجدت المخابرات الألمانية ضـالتها فى الضـابط الشـاب « جون إبلر» . الذى كان يعمل فى الأصـل لحسابها ، والـذى كـان أفضل من يقوم بمهمة جاسوس فى القـاهرة . فهو قد عاش فى مصر وتربى فيها ، وهو يحمل اسما مصريًا هو « حسين جعفر» . وألمانى آخر هو « بيتر مونكاستر » . الـذى تنكر فى شخصية مواطن أمريكى !

★ ★ ★

هكذا انطلقت القافلة العسكرية السرية من الكومـاندوز الألمـانى فى قلب الصحراء . يقودها الكونت المجرى « المـازى » ، والـذى كـان اختيـار روميل لـه اختيـارًا مناسبًا للغايـة . فقد قضـى هـذا الكونت سنوات قبل الحرب فى هذه الصحـراء . يحـاول استكشـاف بعض واحاتها المجهولة منها واحة « آزوره » .

وحرص « المازى » على اختيار رجاله فى هذه المهمة الشاقة ..

فقد اختـار بنفسـه خمسـة مـن أقـوى وأفضـل الجنـود الألمـان . كانوا جميعـا يجيـدون اللغـة الإنجليزيـة . وعلـى إلمـام تـام بمصر وبدروب الصحراء الغربية .

وكان على « المازى » ورجاله أن يقطعوا طريقًا طولـه ٢٥٠٠ ميل فى هذه الصحراء . التى تعد من أقسى صحارى العالم . ليقومـوا بتوصيل « إبلر » ورفيقه « مونكاستر » . ثم العودة من نفس الطريق !

● وبدأت الرحلة الصعبة فى قلب الصحراء ..

وبدأت المشاكل تقع . فبعد يومين فقط من بداية الرحلة . توفـى أحد الجنود بنوبة قلبية !

كانوا حسب الخطة قد ارتدوا الملابـس العسكرية البريطانيـة .. حتى إذا قابلتهم بعض الدوريات البريطانية ظنوا أنهم جنـود رفـاق لهم فى وحدات عسكرية أخرى !

وكان ذلك تفكيرًا سليمًا ..

فبعد ساعات قابلتهم دورية بريطانية كبيرة !

لكنهم بكل ثقـة تبـادلوا الإشـارات العسـكرية فـى هـذه الدوريـة . التى ابتلعت الخدعـة وردت عليهم ومضـت فـى طريقهـا . دون أن يكتشف أحد من أفرادها أنهم تبادلوا للتو التحية العسكرية مع الأعداء !

لكن ما أن غابت الدورية البريطانية عن الأنظار ..

حتى قرر الكونت المجرى أن يغير اتجاهه . ويتجه بقافلته نحـو الجنوب . حتى لا يصطدم بدوريات بريطانية أخرى !

★ ★ ★

ومضت ثلاثة أيام والقافلة توغل فى الصحراء الموحشة ..

وفجأة .. اكتشفوا نفاد الماء تماما !

وكان البقاء أو الاستمرار بدون ماء .. يعنى الموت عطشا فى الصحراء الملتهبة !

لكن الكونت المجرى كان يعرف أسرار هذه الصحراء !

فقد سار نحو بقعة من الأرض . وبحاسته الفطرية أمر رجاله بأن يحفروا فى رمال هذا الموقع . الذى توقف عنده بلا خرائط ولا حسابات . وما أن مضى الرجال يحفرون حتى سرعان ما عثروا على بئر مياه جوفية !

• لكن الماء لم يكن مشكلتهم الوحيدة ..

فبعد أيام بدأ وقود السيارات ينفذ هو الآخر !

وكان ذلك يعنى أنه سرعان ما سينفذ الوقود تمامًا . وتتحول السيارات إلى هياكل حديدية .. أو مقابر لهم فى قلب الصحراء !

لكن الحظ .. كان معهم !

فقد عثروا فجأة فى الصحراء على مخزن وقود بريطانى مهجور ..

وعندما اقتربوا منه لم يجدوا أية حراسة حوله !

فقد كان البريطانيون لا يتخيلون أن فى استطاعة مخلوق أن يصل إلى هذه المنطقة النائية فى قلب الصحراء . التى اختاروا أن يقيموا عليها مخزنًا احتياطيًا لوقود سياراتهم العسكرية العاملة فى الصحراء البعيدة .

• وملأ الألمان سياراتهم بالوقود البريطانى !

لكنهم قبل انصرافهم لاستكمال رحلتهم الطويلة . لم ينسوا أن يقوموا بنسف خزان الوقود البريطانى خلفهم !

لكن لم ينس الكونت المجرى الماكر من إخفاء بعض براميل الوقود فى مواقع حددها بنفسه ..

حتى يستعين بها فى طريق عودته بعد انتهاء المأمورية !

* * *

وكانت المشكلة الثالثة .. هى شمس الصحراء القاسية !

فقد بدأت أشعة الشمس الحارقة تؤثر فى الجنود الألمان ..

حتى الجاسوس « إبلر » نفسه الذى عاش فى مصر . وتكيف مع الحر . بدأ يتأثر بقسوة الشمس . وتمنى فى قرارة نفسه لو أنهم كانوا قد أرسلوه إلى مصر عبر وسيلة أخرى . لو أنهم أسقطوه مثلاً بالباراشوت من طائرة . فإن ذلك سيكون أقل من جحيم هذه الصحراء !

وكانت المشكلة الرابعة ..

فقد بدأت الشمس تؤثر أيضًا على تفكير الرجال ..

وبدأوا يعانون من الظنون والهلاوس .. لأول مرة بدأت المخـاوف تتتـابهم . مـاذا لـو قبـض عليهـم الآن وهـم يرتـدون الملابـس العسكرية البريطانيـة . يركبون سيارات عسـكرية بريطانيـة . فـى هذه الحالـة لـن يمكنهـم أبـدا المطالبـة بـأن يعـاملهم البريطـانيون معاملة أسرى الحرب !

وسيعاملون .. معاملة الجواسيس !

هـكذا كـان يفكر الجاسوس « إبلر » نفسـه .. وهـو جالس فـى المقعـد الخلفـى لإحدى السـيارات . وهو يلعق شـفتيه فـى غضـب !

وغرق « إبلر » فى الأفكار السوداء..

وبدأ يشعر باليأس من الوصول أصلا إلى مصر ..

لكنه فى نفس اللحظة انتبـه على صـوت الكونـت المجرى قـائد المجموعة .. وهو يقول له فى لهفة :

ـ انظر .. أعتقد أن هذا هو المكان الذى نريده !

★ ★ ★

نظر « إبلر » إلى حيث أشار الكونت المجـرى فلـم يشـاهد شيئًا !

لكن الرجـل أمـر قـائد السـيارة بالإسراع نحـو اتجـاه معين . ثم أمره بالتوقف أمام علامة حجرية على الرمال !

وكانت علامة عسكرية بريطانية .. غير مفهومة لهم !

هل هى علامة خزان للوقود ؟

هل كانت علامة خاصة بالطرق ؟

ـ لكن « إبلر » صـاح فى لهجـة انتصار : لا يهم نوع العلامة أو ماذا تقول .. المهم أنها علامة إنجليزيـة .. لقد اقتربنـا .. لقد وصلنا أخيرًا إلى قرب نـهر النيل !

وقفز « إبلر » من السيارة ..

ومضى كالمجنون يزيل الرمال عن نصف العلامة الحجرية التى كانت الرمال قد دفنته .

ثم رفع يديه نحو السماء وهو يكاد يرقص ..

وصاح فى بقية الرجال :

ـ إنها باللغة الإنجليزية .. وهى تقول .. مرتفع خطر .. أسيوط على بعد ١٠ كيلومترات !

★ ★ ★

● عـن بعـد ..

ظهرت بعض البيوت الريفية الطينية المتناثرة حول مدينة أسيوط ..

فتوقفت القافلة الألمانية السرية..

وغادر « إبلر » وزميله « مونكاستر » السيارات ؟ وتم تسليمهما ثلاث حقائب . أخرجا من واحدة منها بعض الملابس . وارتدياها بعد أن خلعا الملابس العسكرية البريطانية !

كانت ملابسهما فى الحقائب معدة خصيصًا بوساطة المخابرات الألمانية لمهمتهما السرية فى القاهرة .

كانت فى ملابس « إبلر » قطعة صغيرة من القماش . تشير إلى أن هذه الملابس من محلات أزياء معروفة فى شارع قصر النيل . وقطعة قماش أخرى فى ملابس « مونكاستر » تشير إلى أنها من دار السلام فى تنجانيقا . فقد كان الدور المرسوم لهما كان دور أمريكى فى زيارة لإفريقيا ..

● وحمل « إبلر » و « مونكاستر » حقائبهما ..

بعد أن أخرجا منها عدة أوراق ومستندات . واحدة منها تقول أن « إبلر » ضابط من ضباط الحلفاء فى منطقة الشرق الأوسط .. وعدة خطابات مختلفة .. ومفاتيح سيارة .. وبطاقة عضوية فى أحد أندية القاهرة .. وبعض تذاكر السينما الممزقة !

وكانت المخابرات الألمانية قد حصلت على كل هذه الأشياء مع أحد الضباط البريطانيين الأسرى . وتم إجراء بعض التعديلات عليها !

وكان « مونكاستر » يحمل جواز سفر أمريكى مزور بدقة شديدة !

وطلب « إبلر » من أحد جنود المجموعة أن يحفر فى الأرض قليلاً . ثم وضع فى الحفرة ٥٠٠ جنيه من الذهب .

● وقال الكونت المجرى « المازى » : ربما عدنا من هذا الطريق مرة أخرى !

ثم صافح « إبلر » و« مونكاستر » الكونت وبقية الرجال .. الذين ركبوا سياراتهم وانطلقوا فى رحلة العودة من نفس الطريق ..

● ووقف الاثنان فى صمت ..

● وأخيرا قـال « إيـلر » « لمونكاسـتر »: مـن الآن سـيكون حديثنا دائمًا باللغة الإنجليزية.. هيا بنا !

ومضى الاثنان فى اتجاه مدينة أسيوط ..

فى أغرب رحلة جاسوسية ..

لكن ما هى إلا دقائق .. حتى واجهتهما أول مشكلة مفاجئة !

الفصل الرابع

روميل انسحب .. وصابون الحلاقة على ذقنه !

كان الفيلد مارشال روميل يقف بجيوشه على أعتاب مصر عند العلمين ، بعد أن شق طريقه خلال الصحراء الغربية ، وأحرز انتصارات عديدة على جيش الحلفاء . وآن أوان المعركة الفاصلة. التى سيواجه فيها الجيش البريطانى .

ونجحت المرحلة الأولى من خطة روميل والمخابرات الألمانية من أجل إرسال الجاسوسين « إبلر » و « مونكاستر » إلى القاهرة عبر الصحراء . ليحاولا الحصول على المعلومات العسكرية التى يريدها روميل عن الجيش البريطانى .

وقامت قوة من الكوماندوز الألمانى بقيادة الكونت المجرى « المازى » برحلة شاقة طولها ٢٥٠٠ ميل فى قلب الصحراء . حتى وصلوا بالجاسوسين إلى مشارف مدينة أسيوط . وتركوهما هناك وانطلقوا فى رحلة العودة .

وكانت المخابرات الألمانية قد زودت الجاسوسين بكل ما سوف يساعدهما فى مهمتهما السرية الخطيرة . ملابس تشير إلى أنها مشتراة من محلات فى القاهرة. جوازات سفر مزورة ووثائق أخرى . تقول إن الجاسوس « إبلر » ضابط بريطانى يعمل فى قوات الحلفاء فى الشرق الأوسط. أما الجاسوس « مونكاستر » فقد تنكرفى شخصية سائح أمريكى يزور إفريقيا .

ومضى الاثنان سيرا على الاقدام وهما يحملان حقائبهما نحو مدينة أسيوط ..

وكانا يحملان فى إحدى هذه الحقائب ٨٠ ألف جنيه استرلينى مزيفة بمهارة . فى حقيبة أخرى كانت هناك بذلتان من بذلات الضباط الإنجليز . وجهاز إرسال لاسلكى . ونسخة من رواية « ربيكا » تأليف دوبان دى مورييه .

وكان لرواية « ربيكا » دور خطير فى مهمة التجسس ..

وبعد أن قطعا مسافة قصيرة . فوجئ « إبلر » و « مونكاستر » بما لم يكن يخطر لهما على بال !

* * *

فجأة وجد الجاسوسان نفسيهما أمام بوابة معسكر حربى إنجليزى !

وكان من الممكن أن تصيبهما هذه المفاجأة بالارتباك .. لولا ذكاء « إبلر » وسرعة بديهته .

● قال « إبلر » لـ « مونكاستر » بهدوء : سندخل هذا المعسكر .. اترك الأمر لى .

وتقدم الاثنان نحو بوابة المعسكر فى ثقة ..

- صاح الضابط البريطانى الذى يرأس حراسة بوابة المعسكر : من أين أتيتما ؟

● أشار « إبلر » بإصبعه إلى الخلف ..

●وقال بلا تردد : من الصحراء .. كنا فى رحلة وتعطلت سيارتنا .. ويا له من حر فظيع .. هل فى إمكانك أن تساعدنا لكى نصل إلى اسيوط ؟

- قاطعه الضابط البريطانى : ولكن من أنتما ؟

أخرج « إبلر » بطاقة من جيبه بنفس الهدوء ..

●وقال للضابط البريطانى : أنا ضابط اتصال بالجيش البريطانى .. وصديقى هذا أمريكى!

كان « إبلر » يتحدث بلهجة الواثق .. ولم يدخل الشك على الضابط البريطانى .

- فرد عليه بسرور : أنا سعيد بمعرفتكما .. ادخلا واستريحا .. وسأحضر لكما سيارة لتوصيلكما إلى أسيوط !

هكذا وبكل سهولة انتهى كل شىء ..

وابتلع الضابط البريطانى الخدعة .

وبعد ساعتين فقط كان « إبلر » و« مونكاستر » يستقلان القطار المتجه من أسيوط إلى القاهرة . لكن حقائبهما لم تكن معهما !

فقد كان « إبلر » قد استأجر خادما اسمه محمد ، بعد أن وعده أن يعطيه خمسة جنيهات كراتب شهرى . وكان محمد قد ركب نفس القطار . لكنه كان يجلس على مقعد خشبى فى الدرجة الثالثة . وتحت قدميه حقيبة فيها ٨٠ ألف جنيه استرلينى وجهاز لاسلكى .. ورواية « ربيكا » .

● وعندما وصل القطار أخيرا إلى محطة مصر ..

هبط الخادم محمد من باب الدرجة الثالثة . وأسرع على رصيف القطار وهو يحمل الحقائب نحو « إبلر » الذى كان قد غادر القطار مع « مونكاستر » .

- وقال بلهفة « لإبلر » : سيدى .. أتى أحد العساكر الإنجليز وحاول فتح الحقائب . لكنى قلت له إن سيدى ضابط إنجليزى .. ويزعل قوى لو حد فتح الشنط .. ولهذا لم يفتح العسكرى الشنط !

* * *

● ارتسمت ابتسامة شيطانية على وجه « إبلر » !

وشعر بأن الحظ سيكون حليفه فى مهمته الخطيرة . مادامت الأمور تسير هكذا من البداية ..

- وانتبه على صوت الخادم وهو يسأل : احنا رايحين على فين يا سيدى ؟

● رد « إبلر » : إلى فندق شبرد .

ثم التفت إلى رفيقه « مونكاستر » ..

● واستطرد : أنا فى حاجة إلى كأس .

ـ رد مونكاستر عليه وكانت مخاوفه قد زالت : وأنا أيضًا .. قد أكون فى حاجة إلى عدة كئوس!

وانطلق الاثنـان خارج محطة السكة الحديد المزدحمة . والخادم خلفهما يتعثر وهو يحاول اللحاق بهما حاملاً الحقائب !

ونزل الاثنان فى فندق شبرد ..

وكـان الفندق لا يبعد سوى أمتار قليلة عن مقر القيادة العامة للقوات البريطانية فى القاهرة .

وبعد أن تـأكد « إبلر » من إحكام اغلاق بـاب حجرتهما فـى الفندق . أخـرج « مونكاستر » جهـاز اللاسلكى السرى . وأخـرج « إبلر » قصة « ربيكا » . وقطعة ورق منفصلة .

وبدأ الاثنان يحاولان اجراء أول اتصال لاسلكى مع قيادتهما ..

كان الاسم الحركى للمهمة هو .. « كوندور » .

● وبدأ الاتصال ..

كوندور يتكلم .. كوندور يتكلم .. أنا مستعد لبدء العملية .

وجلس الاثنـان ينتظران..

وبعد حوإلى الساعة جاء الرد على جهاز اللاسلكى ..

ـ الرسالة وصلت .. أنتما تعلمان ماهو المطلوب .. « السرعة واجبة » !

★ ★ ★

بحرص شديد أعاد « إبلر » جهاز اللاسلكى إلى مكانـه . وترك زميله وغادر الفندق لقضاء السهرة . وليبدأ جمع أول معلوماته .

كان « إبلر » سعيدا وواثقا من نفسه ..

وكان مقتنعا بأن البريطانيين أغبياء .. ولن يعرفوا حقيقته .. وكان واثقا تمام الثقة من نجاحـه فـى مهمتـه . وبأن المعلومـات التى سوف يحصل عليها سوف تكون مفيدة للغايـة لروميل . الذى ولا بد سينجح فى الوصول إلى القاهرة سريعًا . حتـى إنـه فـى هذه اللحظـة بدأ يفكر فى اختيار الفيلا التى سوف يقيم فيها روميل فى القاهرة !

هكذا كان « إبلر » يفكر فى بداية أول ليلة فى القاهرة ..

أما الفيلد مارشال روميل الذى كان فى نفس الوقت قد عاد إلى مقر قيادته فى طرابلس فى ليبيا . فقد كان يعتمد على مصدرين فى معلوماته عن الحالة فى مصر . وكان قد أرسل « إبلر » إلى القاهرة فى الحقيقة ليتأكد من هذه المعلومات .

وكان المصدر الأول الذى يعتمد عليه روميل فى الحصول على المعلومات هو البعثة العسكرية الأمريكية فى القاهرة !

فأثناء عام ١٩٤١ كانت مجموعة من خبراء فك الشفرة الإيطاليين . قد توصلوا إلى سر الشفرة التى تتصل بها هذه البعثة بقيادتها العامة فى واشنطن . وفى كل ليلة كانت البعثة العسكرية الأمريكية ترسل تقريرا عن الحالة فى القاهرة . وفى كل ليلة كان هذا التقرير يصل إلى روميل !

● وفى هذه التقارير ..

كان الأمريكيون يبدون أسفهم على مصر .. وحزنهم على أنها ستضيع من البريطانيين .. ويدخلها الألمان ! أما المصدر الثانى لمعلومات روميل فقد كانت بعض المحطات فى الصحراء . وكانت مهمتها التقاط الإشارات اللاسلكية البريطانية وحل رموز شفرتها !

★ ★ ★

وكانت معارك الكروالفر قد بدأت بين روميل وجيوش الحلفاء ..

وفى صباح أحد الأيام شنت قوات نيوزلاندة . التابعة للجيش الثامن البريطانى هجوما عنيفًا على القوات الألمانية ..

واضطر روميل إلى التراجع وانسحب وصابون الحلاقة على ذقنه !

وتمكن روميل من الهرب بقواته إلى قلب الصحراء . لكن خبراء الشفرة الألمان لم يستطيعوا الهرب وقبض عليهم الجنود النيوزلنديين . وأرسلوا منهم اثنين إلى القاهرة هما « آبيل » و « ويبر » .

وكانت مهمة « آبيل » و« ويبر » هى استقبال الرسائل اللاسلكية القادمة من « إبلر » و «مونكاستر» !

وحاول رجال المخابرات البريطانية فى القاهرة الضغط عليهما للاعتراف . لكن الاثنان تماسكا ورفضا الاعتراف بأى شىء .

لكن أحد الضباط البريطانيين وكان رجل مخابرات اسمه « روبى » لاحظ أن بين أمتعة « آبيل » و« ويبر » قصة « ربيكا » تأليف دوبان دى مورييه . ففكر أن يأخذها معه ليقرأها عند عودته للثكنات . لكنه طوال الطريق لم يستطع أن يتخلص من السؤال الذى ظل يراوده . لماذا يحمل هذين الألمانيين هذه القصة بالذات ؟ ولماذا لم يكن معهما أى كتاب آخر غيرها ؟

وأخرج الضابط البريطانى القصة من جيبه ..

وبدأ يتفحص صفحاتها ..

فلاحظ وجود آثار خطوط بالقلم الرصاص تحت بعض الكلمات . لكن تم مسحها بأستيكة !

وذهب الضابط « روبى » بعد أن داخله الشك والريبة إلى مقر القيادة البريطانية ..

واتجه إلى قسم التصوير وطلب من أحد الخبراء فيه أن يقوم بتصوير الخطوط وبعض الكلمات الممسوحة وتكبيرها .

ونظر الخبير فى لا مبالاة إلى صفحات القصة ..

ـ وقال له : هذا كلام فارغ ولعب عيال .. ولكن على أى حال انتظر نصف ساعة .

وقبل أن تنقضى النصف ساعة جاءت الإجابة ..

كانت الكلمات الممسوحة هى ثمن الكتاب !

وكان ثمن الكتاب هو « ٥٠ اسكيودوس » .. وهى عملة اسبانية .

وأسرع ضابط المخابرات البريطانى « روبى » يرسل رسالة بالشفرة إلى لشبونة عن طريق قيادته فى لندن يسأل فيها : هل تستطيعون معرفة من الذى اشترى نسخة من قصة « ربيكا » فى العام الماضى من لشبونة ؟

● وبعد يومين جاءت الإجابة المذهلة !

ان الذى اشترى قصة « ربيكا » من لشبونة كان الملحق العسكرى المساعد للسفارة الألمانية هناك .. ويبدو أنه كان مجنونًا بهذه القصة .. لأنه اشترى ست نسخ منها مرة واحدة !

ولم يكن ضابط المخابرات البريطانى « روبى » فى حاجة إلى جهد كبير . ليستنتج أن قصة « ربيكا » يستخدمها الألمان كشفرة لبعض الجواسيس !

لكن ما حل هذه الشفرة ؟

ومن هم هؤلاء الجواسيس ؟

ذلك ما كان على المخابرات البريطانية فى القاهرة أن تعمل على الإجابة عليه .. وبسرعة !

* * *

أول ليلة للجاسوس الألمانى « إبلر » فى القاهرة ..

دخل يرتدى ملابسه الأنيقة إلى ملهى « الكيت كات » الشهير فى تلك الأيام . حيث قاده النادل إلى أقرب طاولة من المسرح ..

وكان كثير من الضباط البريطانيين على طاولات أخرى متناثرة فى الملهى .. وكانوا كلهم فى انتظار نجمة الملهى الشهيرة .. الراقصة حكمت فهمى !

وسرعان ما ظهرت حكمت فهمى على المسرح بعد أن سبقتها دقات الدفوف العالية ..

وبدأت حكمت تتراقص على النغمات الشرقية الجميلة ..

وكعادتها استولت على إعجاب رواد الملهى . الذى كانوا يصفقون لها ويحيونها فى نشوة .. أليست سلطانة الغرام ؟!

وعلى طاولته أخرج « إبلر » من جيبه ورقة وقلما . وكتب عدة سطور . ثم وضع الورقة داخل ورقة مالية فئة الجنيه المصرى . وأعطاها للجرسون . الذى حصل على الجنيه لنفسه أسرع إلى تسليم الرسالة إلى حكمت فهمى فى حجرتها . بعد أن انتهت من تقديم رقصتها .

● وبعد دقائق ..

أقبلت حكمت فهمى فى ملابس السهرة نحو طاولة « إبلر » ..

توقفت تنظر إليه بنظرات تلمع .

ها هو الشاب المصرى الوسيم (حسين جعفر) . الذى عاشت معه أجمل ليلتين فى النمسا ثم اختفى .. ها هو بشحمه ولحمه ووسامته جالسا ينتظرها بلهفة !

ونهض « إبلر » بمجرد أن رآها..

وأسرع نحوها يطبع قبلة رقيقة على أناملها ..

● وجلس الاثنان معا ..

ـ قالت له حكمت : أهلاً .. حسين .

●رد « إبلر » بلغة عربية وباللهجة المصرية : ازيك يا حكمت ؟

وبدأ الاثنان يتحدثان عن لقائهما الأول فى النمسا..

وفجأة أشار « إبلر » ناحية بعض الضباط الإنجليز السكارى ..

وقال لها : أما زلت تكرهينهم يا حكمت ؟

ـ ردت على الفور : زى العمى وأكثر شوية .. وكلما أجد نفسى مضطرة للجلوس مع أحدهم تزداد كراهيتى لهم . نعم أنا أجلس معهم . لكنى أخفى شعورى داخلى . وأتمنى لو أبصق عليهم جميعا !

●قال لها : « إبلر » أو حسين جعفر : كده ؟

● ثم صمت برهة ..

● وعاد ليقول لها : أنا عاوز منك خدمة كبيرة أوى ..

وبدأ يتحدث اليها فى همس . وكشف لها عن حقيقة شخصيته . وعن مهمة التجسس التى كلفه بها وزميله «مونكاستر» الفيلد مارشال روميل . وتحمست حكمت فهمى وأعربت عن استعدادها لمساعدة « إبلر » فى كل شىء . بسبب كراهيتها للإنجليز .

وطلب « إبلر » من حكمت فهمى أن تساعده فى العثور على مسكن مناسب . فاقترحت عليه أن يستأجر عوامة على النيل . فقد كانت هى نفسها تعيش فى عوامة .

فى اليوم التالى .. كانت حكمت فهمى قد دبرت « لإبلر » استئجار عوامة قريبة من عوامتها على شاطئ النيل بالزمالك . وهى عوامة ضخمة مفروشة بأفخر الأثاث .

ولم يكن ايجار العوامة مرتفعا بالنسبة « لإبلر » .. فقد كان ايجارها الشهرى مائة جنيه . وكان مبلغ الـ ٨٠ ألف جنيه الاسترلينى بدقة فى حقائب « إبلر » لم يمسه بعد .

● لكن المثير فى الأمر ..

أن العوامة التى استأجرها « إبلر » . كانت بينها وبين عوامة حكمت فهمى . عوامة أخرى ملاصقة لعوامته . يسكنها ميجور

بريطانى . يعمل فى فرقة المخابرات الملحقة بالقيادة العامة لقوات الحلفاء فى الشرق الأوسط .

● قال « إبلر » لحكمت فهمى : مستحيل أن يفكر أحد فى البحث عنا هنا بجوار عوامة الميجور البريطانى .. انه أحسن ستار يخفينا عن العيون !

* * *

● وفى صباح اليوم التالى ..

صعد « إبلر » إلى سطح العوامة ليقوم بتركيب الإيريال الذى سيعمل عليه جهاز الإرسال اللاسلكى السرى .

وتفتق ذهنه عن فكرة شيطانية . عندما لاحظ أن الأومباشى البريطانى المخصص لحراسة عوامة الميجور ينظر إليه ..

● فصاح فيه : هيه .. هل لك أن تساعدنى فى تركيب هذا الإيريال ؟

ـ رد الأومباشى الإنجليزى : بكل سرور !

وقفز إلى عوامة « إبلر » وتولى بنفسه تثبيت الإريال . وبعد أن انتهى من دق آخر مسمار يربطه .

ـ قال « لإبلر » حازما : يا سيدى .. إنك تستطيع بهذا الإريال أن تستمع إلى كل مكان فى العالم .. بل إنك تستطيع أن تتكلم مع أى إنسان .. حتى لو كان هتلر نفسه !

• كان الأومباشى يعتبرها نكتة ..

لأنه بالطبع لم يكن يخطر له على بـال أن « إبلر » جاسـوس ألمانى .

لكن الأطرف أن « إبلر » بعد أن شكره .. استدار ليدخل العوامة .

بعد أن قال للأومباشى الإنجليزى وهو يضحك : كده .. طيب عن اذنك .. أنا رايح أكلم روميل !

الفصل الخامس

فى التاكسى .. أنور السادات
وجهاز لاسلكى أمريكى!

• روميل يستعد للهجوم فى الصحراء الغربية ..

وقد أرسل جاسوسيه «جون إبلر» أو حسين جعفر وزميله مونكاستر إلى القاهرة . عن طريق الصحراء إلى أسيوط فالقاهرة . و «إبلر» فى أول ليلة يلتقى بالراقصة حكمت فهمى . وكان الاثنان قد التقيا من قبل فى ملهى بفيينا . ويصارح «إبلر» حكمت فهمى بحقيقة شخصيته ومهمة التجسس المكلف بها .

وبدون تردد توافق حكمت فهمى على مساعدة الجاسوس الألمانى . فهى تكره الإنجليز منذ طفولتها وتتمنى أن يرحلوا عن مصر .

وتساعده على استئجار عوامة على شاطئ النيل فى الزمالك. بجوار عوامتها . وعوامة أخرى يسكنها ميجور بريطانى يعمل فى مخابرات الحلفاء .

وبسرعة يتعرف «إبلر» إلى جاره الميجور البريطانى . ثم يدعوه عدة مرات لتناول الويسكى معه فى عوامته . ويخرج معه للعب الجولف فى نوادى القاهرة !

ولم يكن الميجور البريطانى يخطر على باله أبدا أن هذا الشاب المصرى الوسيم حسين جعفر . هو نفسه الجاسوس الألمانى «إبلر» وأن رفيقه الأمريكى «مونكاستر» جاسوس أيضًا وأن الاثنين من أخطر جواسيس روميل !

• فى كل ليلة ..

كان «إبلر» و«مونكاستر» يجلسان إلى جهاز اللاسلكى يحاولان الاتصال بزميليهما «آبيل» و«ويبر» والذى كانت مهمتهما استقبال رسائل إلى الجاسوسين فى الصحراء . دون أن يعرف أن البريطانيين قبضوا عليهما . وأنهما فى سجن المخابرات البريطانية فى القاهرة . والتى كانت تحاول عبثا انتزاع المعلومات منهما .

• وبدأ «إبلر» يشعر باليأس ..

وحاول تغيير الموجة التى كان يرسل عبرها إشاراته . لكنه أبدا لم يَتلق أى رد .

كان هناك صمت رهيب ..

وحاول «إبلر» الاتصال بقاعدة ألمانية فى أثينا . لكن منظمة التجسس الألمانية «أبويهر» كانت قد علمت بخبر القبض على «آبيل» و«وبير» ولهذا فضلت عدم الرد على اشارات «إبلر» اللاسلكية إلى حين .

واقتنع «إبلر» بأن جهاز اللاسلكى قد تعطل تماما .

وأن صلته بقيادته الألمانية قد انقطعت !

● ودق باب العوامة ..

وفتح « إبلر » ليجد حكمت فهمى أمامه وهى تبتسم . فدعاها للدخول وجلس معها . يروى لها حكاية جهاز الإرسال الذى تعطل . والذى بدونه لن يفلح أبدا فى إرسال معلوماته إلى ثعلب الصحراء روميل .

واستمعت حكمت فهمى إلى « إبلر » فى اهتمام ..

وبدأت تفكر فى وسيلة لانقاذ الموقف . والعثور على شخص موثوق به يصلح جهاز الإرسال للجاسوس الألمانى .

ولم تكن هى المرة الأولى التى تعمل فيها حكمت لحساب الألمان ..

كانت قبل أن تلتقى « بإبلر » تتصل بهم . عن طريق أحد موظفى السفارة السويدية فى القاهرة .

وكان البريطانيون يراقبون حكمت فهمى .

وكانوا يحاولون معرفة تحركاتها واتصالاتها .

لكن حكمت فهمى كانت شخصية ذكية للغاية وغريبة للغاية !

وكانت تحركاتها تربك البريطانيين الذين يراقبونها . فقد كانت تخرج من الكباريه .. لتدخل أحد المساجد .

وكانت تخرج من غرفة ضابط بريطانى . لتقابل ضابطا مصريًا ثائرا أقسم أن يلقى بالإنجليز إلى البحر !

وكانت شعلة من النشاط .. والجمال والسحر !

ـ قالت حكمت « لإبلر » : ولا يهمك .. سوف أبحث عن شخص يمكنه إصلاح جهاز اللاسلكى .. شخص يكره الإنجليز مثلى .. ومثلكم !

★ ★ ★

كانت مصر فى تلك الفترة من الأربعينات تعيش على صفيح ساخن !

وكانت تختلف فى اتجاهاتها وميولها . لكنها كلها تتفق على محاربة الإنجليز وضرورة خروجهم من البلاد وتحقيق الاستقلال لمصر .

وكانت هذه التنظيمات السرية تضم العديد من الشباب المصرى المثقف .

وكان أحد هؤلاء الشباب يدعى عبد الغنى سعيد .

وكان أحد أقارب عبد الغنى متزوجًا من سيدة ذات أصل ألمانى . وذات يوم اتصل بهذه السيدة صديق نمساوى لها . يدعى « هوارد »

وكان يعمل دبلوماسيا ألمانيا فى السفارة الألمانية قبل الحرب . وبعد أن اندلعت الحرب العالمية الثانية . بقى مع عدد ضئيل من العاملين فى السفارة . ليعمل فى السفارة السويسرية لرعاية مصالح الألمان فى القاهرة .

وطلب الصديق النمساوى من السيدة الألمانية أن تساعده فى البحث عن شخص يستطيع إصلاح جهاز معطل . ولجأت هذه السيدة إلى قريبها عبد الغنى سعيد تسأله . بصفته شابا مصريًا وطنيا تعلم أنه يكره الإنجليز !

وكان عبد الغنى سعيد على علاقة ببعض ضباط الجيش المصرى الشبان . أصحاب الميول الثورية . ومنهم الضابط حسن عزت. فذهب إليه وأخبره بقصة جهاز اللاسلكى المعطل لدى الجاسوسين الألمانيين « إبلر » و« مونكاستر » .

وأسرع حسن عزت بدوره يروى القصة لرفيقه الثائر الضابط الشاب أنور السادات .

● قال أنور السادات : هذه نجدة من السماء !

وكان فى ذلك الوقت يعمل بسلاح الإشارة فى الجبل الأصفر . وكان قد أملى شروط المعاهدة التى حملها الطيار أحمد سعودى على طائرة هرب بها من القاهرة إلى العلمين . لتسليمها إلى روميل كرسالة من الضباط المصريين الشرفاء داخل الجيش . استعدادهم ولمعاونة الألمان ضد الإنجليز مقابل أن تنال مصر استقلالها .

ولم يكن أنور السادات يعلم أن الألمان أسقطوا طائرة أحمد سعودى عند العلمين ، وكان يعيش فى حالة من القلق انتظارا لاشارة من سعودى أو الألمان .

ولهذا شعر بالسعادة عندما علم بقصة جهاز اللاسلكى المعطل لدى الجاسوسين « إبلر » و« مونكاستر » . واعتبر ذلك نجدة من السماء !

وبلا تردد وافق أنور السادات على الذهاب لعوامة « إبلر » واصلاح جهاز اللاسلكى المعطل !

★ ★ ★

داخل عوامة « إبلر » على شاطئ النيل فى الزمالك ..

سأله أنور السادات عن جهاز اللاسلكى المعطل ..

ضحك « إبلر » ..

● وقال له : تستطيع أن تجده .. إذا عثرت عليه !

وبدأ أنور السادات يبحث عن جهاز اللاسلكى . ويطوف حجرات العوامة . ويهبط درجاتها . ويصعد أعلاها . فلم يجد بها سوى أنها تحتوى على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة. وكئوس الشراب وصناديق الويسكى !

وأخيرًا كشف له « إبلر » عن المخبأ السرى لجهاز اللاسلكى . والذى كان داخل جهـاز « بيك أب » موسيقى . بطريقـة لا يمكـن لأحد على الاطلاق اكتشافها .

وتأكد أنور السادات أن جهاز اللاسلكى الألمانى معطل فعلاً ..

لكن « إبلر » قـدم له جهـاز لاسلكى آخر أمريكى . وقال له إنـه بعد تعطل الجهاز الألمانى . اتصل سرًا بسفارة سويسرا التى كانت ترعـى شـئون الألمـان فـى مصـر . وقـدم لـه القـائم بالأعمـال « هوارد » هذا الجهاز الأمريكى ، وهو جهاز قوى . لكنه لا يعرف كيفية تشغيله .

واكتشف أنـور السـادات بسـهولة أن جهـاز اللاسـلكى الأمريكـى ليست له مفاتيح . فاقترح علـى « إبلر » أن يشـغله بمفاتيح مصرية الصنع . يقوم هو نفسه بتركيبها .

ووافق « إبلر » و« مونكاستر » على اقتراح أنور السادات ..

وهكذا حمل أنور السادات جهاز اللاسلكى فـى حقيبتـه . وغـادر العوامة واستوقف سيارة تاكسى . وتوجه بها إلى بيته فى كوبرى القبـة !

كـانت الصحـف المصريـة تزدحـم كـل صبـاح بأخبـار المعركـة المنتظرة بين روميل والحلفاء ..

وكان الطلبة يتظاهرون فى شوارع القاهرة وهم يهتفون بسقوط قوات الاحتلال البريطانى .

واشتعلت القاهرة ..

وأغلقت المحـلات التجاريـة أبوابهـا .. وأقفـرت المقــاهى مـن روادها الذين كانت تزدحم بهم طوال النهار والليل .

ولاحظ البعض أن دخانا يتصاعد من بعض مكاتب القيادة العامة للحلفاء فى الشرق الأوسط . وكان الموظفون داخل القيـادة يقومـون بـاحراق المسـتندات والوثـائق المهمـة . حتـى لا يسـتولى عليهـا روميل عندما يدخل القاهرة !

وأطلق موظفو قيادة الحلفاء علـى هذا اليوم .. « أربعاء الرمـاد » ! وفكر « إبلر » فى إرسال هذه المعلومات المهمة إلى روميل ..

لكن كيف .. وجهاز اللاسلكى لم يعمل بعد ؟

وكان روميل يريد الإجابة على أسئلة محددة ومهمة :

أين سيقوم البريطانيون بتركيز دفاعاتهم ؟

وما نوع قواتهم .. وعدد جنودهم .. وبنادقهم ودباباتهم ؟

ومن سيكون قائد البريطانيين فى المعركة ضد روميل ؟

وكـان « إبلر » حريصًا على أن يسـهر كـل ليلـة فى الكباريهات

والملاهى والنوادى . التى اعتاد الضباط الإنجليز ارتيادها . لعله يسمع طرفا من حديث أو حوار يدور بين هؤلاء الضباط . يستطيع أن يعرف منه شيئًا من الإجابة على هذه الأسئلة !

وبدأت الأحداث تزداد إثارة ..

* * *

● ذات ليلة ..

ذهب « إبلر » إلى نادى « ترف كلوب » متنكرًا فى ملابس ضابط بريطانى ..

وجلس إلى مائدة حولها عدة موائد يجلس إليها بعض الضباط البريطانيين . وكانوا يتناولون الشراب ويتحدثون فى حماس .

والتقطت أذنا « إبلر » الكثير من المعلومات عن قواد الجيش الثامن . لكنه لم يسمعهم يتحدثون عن القائد الجديد الذى سوف يواجه روميل فى المعركة المنتظرة .

وفجأة .. لاحظ « إبلر » أن أحد هؤلاء الضباط ينظر إليه فى ريبة !

وفجأة نهض هذا الضابط وذهب ليتحدث فى التليفون ..

وهنا أسرع « إبلر » بالنهوض وانصرف من المكان فى الحال ..

وكان « إبلر » على حق فى تخوفه !

فقد كان الضابط البريطانى يتصل بإدارة المخابرات البريطانية فى القاهرة .

ـ وقال لمحدثه على الناحية الأخرى : أريد أن أبلغ عن شخص غريب هنا .. إنه يرتدى ملابس ضابط بريطانى لكنه لا يمكن أبدا أن يكون ضابطا بريطانيا . إنه يدفع الحساب بالجنيهات الإنجليزية . ولديه منها الشىء الكثير . من أين حصل على كل هذه النقود ؟ ثم أين هو هذا الضابط الذى لا يسمح لزملائه بشراء كأس له على حسابهم ؟

وخلال دقائق كان ضباط المخابرات البريطانية قد هرعوا إلى « ترف كلوب » .

لكن « إبلر » كان قد اختفى .

كأنه فص ملح .. وذاب !

لكن رجال المخابرات قاموا بجمع الجنيهات الإنجليزية التى كان « إبلر » قد دفعها ثمنا للويسكى الذى تناوله .

وكانت الجنيهات الإنجليزية هى أول خيط .. يؤدى إلى النهاية !

* * *

فى نفس الليلة .. بعد أن قام بتغيير ملابسه العسكرية البريطانية .

ذهب « إبلر » ليكمل بقية السهرة فى ملهى « المتروبوليتان » . والذى كان مكاناً مفضلاً لقضاء السهرة عند الكثير من الضباط البريطانيين والمراسلين العسكريين .

وفى هذه السهرة تعرف « إبلر » على راقصة اسمها « إيفيت » قالت له إنها فرنسية من مواليد بيروت . وتعمل راقصة فى القاهرة .

وبعد تناول الشراب والعشاء ..

غادر « إبلر » المتروبوليتان وفى يده الراقصة الحسناء ايفيت .. التى قضت معه الليلة فى العوامة !

● وفى الصباح ..

وقبل انصرافها أعطاها « إبلر » عشرين جنيها . وطلب منها أن تعود إليه مرة أخرى .. فى أقرب فرصة !

وعادت إليه ايفيت بالفعل مرتين أخريين .. وليس مرة واحدة !

والحقيقة أنها لم تكن راقصة كما قالت له .

لكنها كانت جاسوسة تعمل لحساب الوكالة اليهودية فى مصر !

وكانت ايفيت فى كل مرة تنصرف فيها من عوامة « إبلر » تذهب لتكتب تقريرا للوكالة اليهودية عما دار بينها وبينه .

● وفى أحد هذه التقارير كتبت « إيفيت » .

هذا الرجل الذى أقابله قال لى إنه مصرى وإن اسمه حسين . لكنى متأكدة من أنه ألمانى . لقد سمعته يتحدث مع زميله وكان يتحدث بلهجة أهل السار . وهو عصبى جداً . ومعه نقود كثيرة !

● وكانت تعليمات المشرفين على الوكالة اليهودية للتجسس « لايفيت » : استمرى فى العلاقة مع هذا الرجل .. وحاولى الحصول على كل معلومة كبيرة أو صغيرة عنه !

* * *

كان ضباط المخابرات البريطانية فى القاهرة ـ وعلى رأسهم الضابط روبى ـ متأكدين من وجود جاسوس ألمانى مجهول فى القاهرة . رغم أنهم فشلوا فى انتزاع اعتراف بذلك من ضابطى الشفرة الألمانيين « آبيل » و « ويبر » الذين أصرا على عدم الكلام .

لكن السؤال الذى كان يحير رجال المخابرات البريطانية كان :

أين هو هذا الجاسوس الألمانى المجهول ؟

فى أى مدينة من مدن مصر يختفى ؟

ومن هو ؟

وقلبوا الدنيـا رأسـا علـى عقب لعلهم يحصلـون علـى أى دليل يقودهم إلى الجاسوس الغامض .

لكنهم لم يعثروا على شىء ..

رغم أن النهاية .. كانت قد اقتربت للغاية !

★ ★ ★

الفصل السادس

فى الملهى الليـلى.. جاسوسات ورجل مخابرات!

● التقت رغبة الطرفين فى محاولة الاتصال بثعلب الصحراء ..

رغبـة الجاسوسـين « إيـلر » وزميلـه « مونكاسـتر » الذيـن أرسلهما روميل عبر الصحراء إلى القاهرة ومعهمـا جهـاز إرسـال لاسلكى . للحصول على معلومات عسكرية عن الجيـش البريطـانى الذى سيواجهه فى المعركة المنتظـرة . ورغبـة الضـابط المصـرى الشاب الثائر أنور السـادات . الذى كان ينتظر ردا من الألمان . علـى الرسالة التى بعث بها الضباط الثـوار إلـى روميل . يعرضون مسـاعدته فى محاربة الإنجليز مقابل حصول مصر على استقلالها .

وكان جهاز لاسلكى الجاسوس « إيلر » قد تعطل . فحضر أنـور السـادات إلـى عوامتـه وفحـص الجهـاز وحملـه معـه إلـى بيتـه لاصلاحـه . بينمـا انطلـق الجاسـوس « إيلر » يسـهر فـى الملاهـى الليلية التى تعود الضباط البريطانيون ارتيادها . لعله يلتقـط بعـض المعلومات الهامة .

لكن « إيلر » ـ أو حسين جعفر ـ كان فى نفس الوقت يعيش حياة اللهـو والعربـدة . فـالتقط مـن ملهـى « المتروبوليتـان » حسـناء فرنسـية. وذهبـت إلـى عوامتـه أكـثر مـن مـرة . وأغـدق عليهـا الأمـوال . دون أن يـدرى أنهـا بدورهـا جاسوسـة فـى الوكالـة اليهودية للتجسس بالقاهرة . وأنها اكتشـفت أنـه ألمـانى . وتكتب لرؤسائها تقريرًا سريًا عنـه !

● أما الطرف الثالث : الراقصة حكمت فهمى ..

فقد كانت لا تزال تمارس دورها فى العمل سرًا لصالح الألمان . لأنها كانت تكره الإنجليز. وتتمنى خروجهم من مصر بأى وسـيلة. حتى لو كان ذلك عن طريق الألمان .

وكان دور حكمت فهمى .. أكثر من خطير!

★ ★ ★

● فى ملهى الكيت كات ..

كانت حكمت فهمى تقوم بتغيير ملابسـها . بعد أن انتهت مـن تأدية رقصتها . عندما سمعت دقا على باب حجرتها ..

ـ ودخل خادمها ليقـول لهـا : حكمـت هـانم .. الميجـور سميث يطلب مقابلتك .

ـ قالت لـه : دعه يتفضل .

ولم يكن الميجور سميث غريبا على حكمت فهمى . فقد كان من رواد ملهى « الكيت كات » الدائمين منذ شهور . وكان يحضر كـل ليلـة . ويظـل جالسـا ونظراتـه معلقـة عليهـا بإعجـاب ولـه وهـى ترقص . وبدأ بإرسال الزهور ثم الهدايا والنقود تعبيرا عن اعجابه الشديد بها .

• وتعرفت حكمت إلى الميجور سميث ..

وباح لها بحبه الشديد وغرامه بها . حتى إنه عرض عليها الزواج !

ـ وأخذ يؤكد لها : صدقينى يا حكمت .. سوف أتزوجك بمجرد أن تنتهى إجراءات الطلاق من زوجتى الموجودة الآن فى لندن .

لكن عرض الزواج لم يكن يمثل أى اغراء لحكمت فهمى !

كانت تخرج مع الميجور سميث . وتتناول معه العشاء وتشرب معه الويسكى وترقص معه . فقط لأنها تعلم أنه كنز من المعلومات السرية حول قوات الحلفاء .

وفى تلك الليلة كان الميجور سميث يحمل لحكمت مفاجأة ..

ـ قال لها فى حزن : حكمت .. لقد حضرت لأودعك .. فأنا مسافر إلى ميدان الحرب .. انظرى إلى هذه !

• وأشار إلى كتفه ..

ونظرت حكمت لتجد على كتف بذلة الميجور سميث إشارة تفيد انه مرسل إلى « الجنرال ريتشى فى الخطوط الأمامية » !

ـ واستطرد سميث قائلاً : سأسافر إلى الحرب .. ولا أعرف متى سأعود . بل إننى لا أعرف إن كان مقدرا لى أن أعود على قيد الحياة !

• قاطعته حكمت متظاهرة بالقلق : هل من الضرورى أن تذهب يا سميث ؟ وألا توجد أية طريقة لكى تبقى فى القاهرة ؟

ـ رد سميث : لا بد أن أسافر الليلة للأسف !

• قالت له حكمت : إذن انتظر دقيقتين .. سأطلب إلغاء رقصتى الثانية . ثم نخرج معا . ولنقضى السهرة فى عوامتى .. لنتناول كأس الوداع الأخير !

• وهذا ما حدث بالفعل ..

وذهب الميجور سميث مع حكمت فهمى إلى عوامتها حيث قضى السهرة ، لكن فى حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل فوجئ « إبلر » بمن يدق باب عوامته القريبة للغاية من عوامة حكمت . وعندما فتح وجد حكمت فهمى أمامه وهى لا ترتدى سوى روب من الحرير الخفيف !

• كانت تبدو مضطربة ..

• وقالت له بهمس : حسين .. تعال معى !

وسار الاثنان فى الظلام بهدوء من أمام عوامة جارهما الميجور البريطانى . حتى وصلا إلى عوامة حكمت فهمى ودخلاها ..

فتحت حكمت باب حجرة نومها قليلاً ..

وهمست « لإبلر » ليفاجأ بالميجور سميث ملقى على سرير حكمت فهمى . وهو يغط فى نوم عميق .

أغلقت حكمت باب الحجرة عليه فى هدوء ..

● وعادت لتقول « لإبلر »: لقد وضعت له مخدرا فى الويسكى .. ولن يفيق إلا بعد ساعات . ولقد فتشت ملابسه فوجدت هذا التقرير الخطير . الذى يتضمن كل المعلومات التى نريدها !

أعطت حكمت « لإبلر » التقرير الذى كان خطيرا بالفعل . وكان يحوى بيانات تفصيلية عن القوات العسكرية النيوزيلندية . ووحدات جنوب افريقية والوحدات الأسترالية . والتى كانت تستعد فى ذلك الوقت لعمل خط دفاعى أخير عن الإسكندرية ودلتا النيل . وكان التقرير يتحدث أيضًا عن الفرقة العسكرية الجديدة المكونة من خمسة آلاف جندى سيرسلون إلى الميدان قريبا . وأيضًا بيانات عن ٢٥٠٠ لغم تعزيز هذا الخط الدفاعى !

لكن أخطر ما كان فى هذا التقرير . أن الحلفاء سوف يركزون دفاعهم فى العلمين نفسها . وليس على بعد أميال غربها . كما كان روميل يعتقد . لكن « إبلر » لم يجد فى التقرير إجابة على السؤال الذى كان يهم روميل أكثر . وهو هل تنوى قيادة الحلفاء تغيير القواد فى هذه المعركة ؟

● ومن هم القواد الجدد ؟

قام « إبلر » بسرعة بنقل كل بيانات التقرير ..

ثم احتضن حكمت فهمى وأعطاها قبلة سريعة . وطلب منها أن تعود إلى الفراش بجوار الميجور النائم . حتى لا يشعر بغيابها إذا استيقظ فجأة !

وأسرع « إبلر » إلى عوامته ..

وهناك وجد زميله « مونكاستر » فى حالة اضطراب شديد . وبيد مرتعشة قدم له ورقة . نظر إليها « إبلر » فوجدها تقول : كوندور تكلم .. « آبيل » و« وبير » قبض البريطانيون عليهما . لا ترسلوا إلا المعلومات المهمة . نحن فى انتظار رسالتكم فى تمام الساعة الثانية عشرة مساء .

ـ قال « إبلر » « لمونكاستر » : لا بد من أن نتصل بهم الآن .. هل تسمعنى ؟

رد « مونكاستر » : أنت تعلم أن الجهاز معطل .. لا يمكننا الإرسال عليه .. لقد تعجبت من أنه استقبل هذه الرسالة .

ـ صاح فيه « إبلر» بعصبية : حاول .

رد « مونكاستر » : حاولت .. بلا جدوى ..

ـ صرخ « إبلر » : حاول مرة أخرى .

ظل الاثنان يحاولان الإرسال على جهـاز اللاسلكى . لكـن عبثـا ولم يعمل الجهاز.

وعندما شعرا باليأس .. أخلدا إلى النوم .

وطلع عليهما نهار اليوم التإلى سريعًا .

ذلك النهار .. الذى كان يحمل معه إشارة قرب نهاية مغامرتهما المثيرة !

★ ★ ★

• فى الساعة الثامنة مساء ..

كان « إبلر » و« مونكاستر » يدخلان ملهى الكيت كات ..

وجلس الاثنان إلى إحدى الموائد . وهما يحـاولان اخفـاء حالـة الاضطراب التى سيطرت عليهما .

لقد عرفا معظم المعلومـات المطلوبـة منهمـا . لكـن عليهمـا أن ينتظرا حتى منتصف الليل تمامًـا . وهـو الموعـد المحـدد لإرسـال رسالتهما . فى أطول الساعات الباقية على انتصاف الليل ؟!

وانتبه الاثنان إلى رجل أنيق جاء ليجلس إلـى المـائدة المجـاورة . بعد أن ألقى عليهما التحيـة بلغة عربية وبلهجة المصريين . وقـدم نفسه لهما على أن اسمه « عمر بك » .

• وكان الموقف غريبا بالفعل !

فلم يكن يدور على بـال الجاسوسين « إبلر » و« مونكاسـتر » على الاطلاق . أن هذا العربى الـثرى الوجيـه « عمـر بـك » . هـو نفسـه الميجـور الفريد وليـامز سـانوم . أخطـر رجـال المخـابرات العاملين فى قوات الحلفاء فى الشرق الأوسط !

ولم يكن يخطر على بال الميجور سانسوم فى تلك اللحظة أبدا . أن الشاب المصرى الوسيم حسين جعفر . هـو نفسـه الجاسـوس الألمـانى الغـامض الـذى تبحـث عنـه المخـابرات البريطانيـة . وأن صديقه الأمريكى الجالس معه . هو أيضًا جاسوس ألمانى !

★ ★ ★

وكانت حمى البحث عن الجاسوس الألمانى الغـامض فـى مصـر قد أصابت كل رجال المخابرات البريطانية فى القاهرة ..

وكما يحدث فى كثير من مغامرات الجاسوسية . فإن الجاسـوس فـى العـادة يكـون مـزودا بكـل الوسـائل التـى تخفـى شـخصيته . وتساعد على انهاء مهمته السرية .

وكانت منظمة التجسس الألمانية « ابويهـر » قد زودت الجاسـوس « إبلر » بكل المعلومات التى قد يحتاجها . وحددت له خط سـيره . وأعطته هذا المبلغ الكبير من الجنيهات الإسترلينية .

لكن وكما يحدث أيضًا فى العادة فى مغامرات الجواسيس ..

لا بد من خطأ بسيط لا ينتبه إليه الجاسوس أو منظمة .. يؤدى فى النهاية إلى كشف شخصيته والقاء القبض عليه !

وكان هناك شىء واحد لم تنتبه إليه منظمة التجسس الألمانية فى مغامرة الجاسوس « إبلر » فلم تكن المنظمة تعرف شيئًا عن نظام التعامل بالجنيهات الإسترلينية داخل القاهرة . خاصة خلال فترة الحرب .

كانت الفنادق والمحلات التجارية والمطاعم تقبل الجنيهات الإسترلينية . لكنها لم تكن تستطيع تحويلها إلى جنيهات مصرية عن طريق البنوك المصرية أو الأجنبية وكان لا بد من تغيير الجنيهات الإسترلينية من أحد المكاتب التابعة لإدارة المخابرات البريطانية !

وكان هذا المكتب يقع فى مواجهة ثكنات قصر النيل العسكرية !

* * *

● وفى كل صباح ..

كان أصحاب المطاعم والمحلات والكباريهات ومديرو الفنادق يذهبون لتغيير الجنيهات الإسترلينية من هذا المكتب . ولاحظت إدارة المخابرات البريطانية أن الجنيهات الإسترلينية بدأت تتدفق على مكتب تغيير العملة . وفى البداية فكروا فى احتمال أن يكون أحد الجنود الإنجليز قد قام بتهريب كمية من الجنيهات الإسترلينية من الخارج .

لكنهم بعد أن درسوا هذه النقود . وراجعوا أرقامها على دفاتر بنوك إنجلترا . اكتشفوا إنها لا علاقة لها بأرقام هذه الدفاتر . وكانت الأرقام على هذه الجنيهات الإسترلينية تؤكد أنها مزيفة . ولقد سبق أن ضبطت مثلها فى سويسرا والبرتغال وأسبانيا وأمريكا الجنوبية .

وكانت غالبية هذه النقود من فئة الخمسة جنيهات استرلينية .

ورجح رجال المخابرات البريطانية أن مصدر تزييف هذه النقود ألمانيا . أو إحدى دول أوروبا المحتلة بواسطة الألمان .

وكان الأمر قد أصبح واضحًا لهم .. هذه النقود لا بد أن مصدرها جاسوس ألمانى فى القاهرة !

لكن .. من هو ؟

وأين يعيش أو يختفى ؟

بدأ رجال المخابرات البريطانية يسألون كل من يعثرون معه على الجنيهات الإسترلينية من أين حصل عليها ؟

ـ قال واحد : حصلت عليها من أفندى مصرى اسمه حسين !

لكن كان فى القاهرة آلاف من المصريين اسمهم .. حسين !

ـ وقال آخر : هذه النقود أعطانى اياها ضابط إنجليزى اسمه جون !

وكان فى القاهرة مئات من الضباط الإنجليز اسمهم .. جون !

* * *

● فى ملهى المتروبوليتان ..

كانت الحسناء « ايفيت » تجلس وسط عدد من الضباط الإنجليز .. وبعد قليل استأذنت منهم . بزعم أنها سوف تذهب لدقائق إلى حجرة السيدات لاصلاح ماكياجها .

ـ قالت لهم وهى تنسحب بلغة إنجليزية تشوبها لكنة فرنسية رقيقة : اسمحوا لى .. دقيقة واحدة !

وبالطبع لم يكن أحد من الضباط الإنجليز الجالسين معها . يعلم بأنها جاسوسة تعمل لصالح الوكالة اليهودية فى مصر .

ولم تذهب « ايفيت » إلى حجرة السيدات ..

لكنها ذهبت لتلتقط سماعة تليفون الملهى . وتطلب الوكالة اليهودية .

ـ وقالت « إيفيت » لمن تحدثت معه باللغة العبرية : كان عندى موعد معه لكنه لم يحضر حتى الآن . ويبدو من الحوار الذى سمعته من الضباط الإنجليز . أن إدارة المخابرات البريطانية تبحث عن جاسوس ألمانى فى القاهرة . ومن الجائز جدًا أن يكون هذا الجاسوس هو حسين نفسه !

● قال لها موظف الوكالة اليهودية : لماذا اذن لا تذهبين إليه بنفسك فى عوامته بدلا من الانتظار !

● ولم تكذب « إيفيت » الخبر ..

غادرت الملهى على عجل . واستوقفت سيارة تاكسى . انطلقت بها إلى عوامة « إبلر » لكنها نزلت من التاكسى بعيدا عن العوامة . وسارت فى حذر حتى وصلت أمام العوامة .

نظرت « ايفيت » فلمحت شعاعا من الضوء داخل العوامة ..

واسترقت السمع فسمعت صوت قرع كئوس وأصوات تتحدث .

فتقدمت فى ثبات وضغطت على جرس الباب .

وفجأة هدأت الأصوات تماما داخل العوامة ..

ضغطت « إيفيت » مرة ثانية على جرس الباب .

ـ ثم قالت : حسين .. افتح أنا « إيفيت » !

فجأة أيضًا عادت الأصوات . وسمعت « ايفيت » صوت أبواب داخلية تفتح . وصوت موسيقى تنبعث من جرامافون .

وفتح باب العوامة ..

وامتدت يد لتجذبها إلى الداخل ..

وسمعت فى نفس اللحظة صاحب اليد يقول : ادخلى بسرعة !

نظرت « ايفيت » فوجدت « إبلر » فى مواجهتها ..

كانت ملامح وجهه غير طبيعية . وكانت رائحة الخمر تفوح من فمه .

• جلست جواره على أريكة ..

- قال لها : الليلة عندى شغل . ولا أستطيع الخروج معك .. ولم يكن من الضرورى أن تحضرى الليلة !

وبدأ الفصل قبل الأخير فى رحلة نهاية الجاسوس « إبلر » !

* * *

الفصل السابع

جاسوسة .. على الجاسوس !

لم يخطئ الفرنسيون عندما أطلقوا المثل الذى يقول « فتش عن المرأة » !

هذا المثل الذى ما زالت أجهزة الأمن والمخابرات وعلى طول التاريخ تعمل به !

وحكاية الجاسوس الألمانى « إبلر » الذى أرسله ثعلب الصحراء روميل إلى القاهرة للحصول على معلومات عن القوات البريطانية التى سيواجهها . أبلغ دليل على صحة المثل الفرنسى .

فقد كان « إبلر » يتردد على الملاهى الليلية التى يرتادها الضباط البريطانيون . بحثًا عن المعلومات التى يريدها . لكنه كان فى نفس الوقت يتصرف مثل شاب ثرى طائش وعابث !

كان يبعثر الجنيهات الإسترلينية ببذخ على سهراته وبنات الهوى والمراقص . فكانت هذه النقود المزيفة . وكانت نساء الليل هى بداية نهايته وسقوطه !

فى ملهى المتروبوليتان تعرف « إبلر » الذى كان يحمل اسم وشخصية شاب مصرى اسمه حسين جعفر . على الراقصة الفرنسية الحسناء « ايفيت » وأخذها إلى عوامته فى الزمالك أكثر من مرة . ودون أن يدرى أنها جاسوسة للوكالة اليهودية فى مصر . وأنها مكلفة من الوكالة بمراقبته ومحاولة كشف شخصيته الحقيقية !

وفوجئ « إبلر » ذات مساء « بايفيت » تدق باب العوامة . فسمح لها بالدخول .

كان « إبلر » مخمورا تفوح من فمه رائحة الويسكى ..

وجلس إلى جوار « إيفيت » على الأريكة ..

ثم نهض ليحضر لها كأسا ..

ولاحظت « إيفيت » أن « إبلر » لم يكن منتبها لحديثها . كان يتظاهر بأنه ينظر اليها ويستمع باهتمام . لكنه فى الحقيقة كان يبدو أنه أعطى أذنيه لسماع شىء آخر !

وبسرعة بدأت جاسوسة الوكالة اليهودية تفكر ..

هل يستمع « إبلر » إلى الموسيقى الصادرة عن الجرامافون ؟

هل كان ينصت إلى شىء آخر مجهول ؟

وأخذت تتلفت حولها لتبحث عن مصدر هذه الأصوات فلم تجد شيئًا غير عادى !

مجرد حقائب .. بضائع .. أطعمة .. وبعض زجاجات الويسكى !

لا شىء .. فمن أين تأتى هذه الأصوات ؟!

تظاهرت « إيفيت » بأنها لم تلاحظ شيئًا . وظلت تشرب الويسكى مع « إبلر » وتتحدث معه حوالى نصف ساعة . و« إبلر » يبادلها

الحديث .لكنها تشعر بأن عقله ليس معها . كان أحيانًا يرد عليها بإيماءة من رأسه . وأحيان أخرى يرد بكلام ليس لـه معنـى . وبين كل وقت وآخر ينهض إلى الغرفة المجاورة . لتغيير أسطوانات الجرامافون .

ونهض « إبلر » لتغيير الأسطوانة..

ـ فقـالت له « إيفيـت » وهى جالسـة فى مكانهـا : « إبلر » .. ألا تعتقد أن الوقت متأخر لسماع مثل هذه الموسيقى ؟

وقبل أن يرد « إبلر» عليها سمعت صوت ارتطام جسم . فمدت رأسها لتشاهد عبر الباب المفتوح غطاء الجرامافون يتحرك .

وفجأة سمعت حوارا بين شخصين باللغة الألمانية .

● قال الأول : ماذا كان جوابهم ؟

ـ رد الثانى : قالوا .. اتصلوا بفنيك أبو شيوشتيل السـاعة ٢٤ غدًا .. ولا تستخدموا جهاز الإرسال مطلقا قبل هذه الساعة !

● قال الأول : اننى لا أفهم شيئًا بالمرة .. كل المعلومات فى يدينـا فلماذا ننتظر ؟

● ثم مرت لحظة صمت ..

وفجأة كاد قلب الجاسوسـة « إيفيت » يسقط من صدرهـا .. عندما وجدت « إبلر» يقف أمامها. وكأن الأرض قد انشقت عنه فى لحظة !

★ ★ ★

كان « إبلر » يوجه لها نظرات جامدة قاسية !

ومد يديه وأمسك فجأة بوجهها ..

● وقال لها باللغة الألمانية : ما رأيك لو أمسكت برقبتك وضغطت عليها حتى تموتى ؟!

كان يريد أن يكتشف ما إذا كانت « ايفيت » تعرف اللغة الألمانية . وما إذا كانت فهمت الحوار الذى دار قبل لحظات بينه وبين زميلـه « مونكاستر » !

تظاهرت « ايفيت » بالدهشة والفزع ..

ـ وقالت « لإبلر » : لماذا تشتمنى هكذا ؟ أنا لا افهم ما تقـول . لكنى أشعر أنك تشتمنى .. فلماذا تتصرف بغرابة هكذا ؟

قالتها وهى تحاول اخفاء مشاعرها . حتى لا يبدو عليها أى انفعال .

كان « مونكاستر » فى تلك اللحظة يقف بباب الغرفة ..

● فالتفت « إبلر » إلى زميله ..

● وقال له باللغة الألمانية : اطمئن .. إنهـا لا تعرف حرفًا واحدًا من اللغة الألمانية !

ثم وضع يده فى جيبه وأخرج رزمة من الجنيهـات الإسترلينية وأعطاها « لإيفيت » .

● وقال لها بالإنجليزية : خـذى هذه النقـود .. واسـتمرى معى .. أعطيك نقودا أكثر!

ثم مد يده إلى درج وأخرج منه زجاجة عطر . قدمها لها

● وقال : وخذى هذه أيضًا فأنا أحب النساء . وأحبهن أكثر عندما تكون رائحتهن جميلة !

● وذهب « مونكاستر » لينام ..

وظل « إيلر » مع « إيفيت » حتى قبل الفجر !

* * *

● فى الصباح ..

كان هناك طابور طويل يقف أمام مكتب تغيير العملة ..

وتقدم أحد الواقفين فى الصف . وضع أمام الموظف مجموعة من الجنيهات الإسترلينية طالبًا تغييرها بالجنيه المصرى .

كان الموظف يحفظ عن ظهر قلب تعليمات المخابرات البريطانيـة . بضرورة البحث عن مصدر الجنيهات الإسترلينية المزيفة . التى بدأت مؤخرا فى القاهرة .

نظر الموظف إلى الرجل ..

ـ وسأله : ما اسمك وجنسيتك ؟

ـ رد الرجل : اسمى جورجى أندرو ليداكس .. من اليونان .

ـ قال له الموظف : سنقوم بتغيير جنيهاتك .. لكن إذا سمحت هناك بعض الأسئلة نريد توجيهها لك !

وفى لحظة تم اقتياد الرجل اليونانى إلى مكتب داخلى .

ومن مكتب آخر اتصل الموظف بمنزل الميجور سانسوم . ضابط المخابرات البريطانية الكبير .

ـ وقال له: هالو ميجور .. عندى بقال يونانى يحمل كمية من الجنيهات الإسترلينية المزيفة . التى تبحثون عن مصدرها .

● سأله الميجور سانسوم : وأين يقع محل هذا البقال ؟

ـ رد الموظف : إنه بقال فى الزمالك . ومعظم زبائنه من سكان العوامات . وهو يقول أن شخصًا ذهب إلى محله بالأمس . واشترى بضائع كثيرة ودفع الثمن بالجنيهات الإسترلينية .

سأله سانسوم : وهل تظنه يعرف الرجل ؟

ـ رد الموظف : نعم . يقول إنه يعرفه جيدًا . لأن المبلغ الذى دفعه كان كبيرًا !

● قال الميجور سانسوم : إذن احجزه عندك .. أنا قادم فى الحال !

* * *

● **صباح نفس اليوم ..**

دق جرس التليفون فى مكتب أحد كبار قادة المخابرات البريطانية فى القاهرة . وكان المتحدث هو مدير المخابرات فى الوكالة اليهودية بمصر .

ـ قال مدير مخابرات الوكالة اليهودية : سمعت أنكم تبحثون عن جاسوس ألمانى ؟

رد رجل المخابرات البريطانية : من قال هذا ؟

ـ قال مدير مخابرات الوكالة اليهودية : الجاسوس الذى ينفق جنيهات استرلينية !

● **مرت لحظة صمت ..**

وأخيرًا قال رجل المخابرات البريطانية : حسنا .. من أنت وماذا تريد ؟

ـ قال مدير مخابرات الوكالة اليهودية : لا تعجب فنحن أيضًا لنا مصادرنا . ومعلوماتنا دائما صادقة . وأريد أن أقول لك . إنه توجد بجوارى الآن فتاة جميلة . وفى يدها خمسة وعشرين جنيهًا استرلينيًا مزيفة . أخذتها من شخص تعرفه جيدًا . وتعرف أين يقيم . وكانت معه منذ نحو ساعتين !

قاطعه رجل المخابرات البريطانية قائلاً فى لهفة : حسنا .. وبعد ؟

ـ أكمل مدير مخابرات الوكالة اليهودية قائلاً : وأحب أن أقول لك إن هذا الشخص لديه موعد فى الساعة الثانية عشرة من مساء اليوم مع ..

قال رجل المخابرات البريطانية : مع من ؟

ـ قال مدير مخابرات الوكالة اليهودية : مع جهاز لاسلكى .. المهم أن الفتاة الجميلة معى الآن .. وهى على استعداد لأن ترشدكم إلى مكان هذا الشخص !

قال رجل المخابرات البريطانية بانفعال : فى هذه الحالة إن الجيش البريطانى سيشكر للفتاة هذه الخدمة التى لا تنسى . وسوف يكافئها بمبلغ كبير جدًا ..

.. أين ومتى إذن أستطيع مقابلة هذه الفتاة ؟

ـ رد مدير مخابرات الوكالة اليهودية : بعد ٢٠ دقيقة لا أكثر .. سوف تجدها على باب مكتبك !

★ ★ ★

● **خلال ساعة واحدة ..**

كانت المخابرات البريطانية قد أصدرت الأوامر بضرورة القبض على الجاسوس الذى يعيش فى عوامة على النيل فى الزمالك .

وتم تكليف الميجور سانسوم نفسه بقيادة القوة التى ستنفذ هذه المهمة الخطيرة .

وكان ضباط هذه القوة مسلحين بالمدافع والمسدسات والبنادق سريعة الطلقات .

وقبل أن ينطلقوا لتنفيذ مهمتهم وحصار عوامة « إبلر » .

● قال لهم الميجور سانسوم : انتبهوا جيدًا .. إننا نريد أن نقبض على هذا الرجل على قيد الحياة . لا بد أن تعرفوا أن معه زميلاً له . ومن الجائز أن يكون لديهما سم قد يستخدمانه للانتحار إذا شعرا بنا . أو قد يطلق كل منهما الرصاص على الآخر . فلا تطلقوا رصاصكم نحوهما إلا عند الضرورة القصوى . ولا تضربوا « فى المليان » لأننا نريدهما أحياء !

وخلال دقائق كانت القوة البريطانية قد وصلت إلى مكان العوامة وحاصرتها .

وبكل ثبات تقدم الميجور سانسوم وحده إلى باب العوامة وضغط على الجرس !

وبمجرد أن سمع « إبلر » صوت الجرس حتى التفت إلى زميله « مونكاستر » .

ـ رد « مونكاستر» : نعم وعلى استعداد تام لتنفيذه .

كان « إبلر » بحاسة الجاسوس قد أدرك أن النهاية قد حانت . وأن أمره قد اكتشف . وقد جاءوا للقبض عليه وعلى زميله . فأخرج من جيبه قطعة نقود معدنية .

● وقال «لمونكاستر » : الكلام .. أو الصورة ؟

ـ رد «مونكاستر » : الصورة .

قذف « إبلر » قطعة النقود فى الهواء إلى أعلى . وتعلق أنظارهما بها . حتى سقطت على الأرض .

.. على الوجه الذى يحمل الكلام !

● قال « إبلر » لزميله : مونكاستر .. أنت تخسر .. لا تنسى اتفاقنا !

أسرع «مونكاستر » إلى الحمام وأخفى فى طيات ملابسه «موس » كان قد قرر استخدامها فى النهاية للانتحار بقطع شرايين يده !

كان جرس الباب لا يزال يدق باصرار ..

● قال « إبلر » «لمونكاستر » : ليس أمامنا أن نغرق العوامة بما فيها .. وسأحاول الهرب !

● **صمت برهة ..**

ثم عاد ليقول لزميله فى لهجة مؤثرة : أنت تعلم ما يجب عليك عمله .. إنه واجبك نحو ألمانيا .. ونحو قائدنا روميل !

فأسرع « مونكاستر » إلى قاع العوامة ليقوم بإغراقها .

وفى نفس هذه اللحظة كان الجنود الإنجليز قد كسروا باب العوامة . وكان فى مقدمتهم الميجور سانسوم .

ـ صاح فيه سانسوم : ارفع يديك إلى أعلى . ولا تحاول القيام بأية حركة !

ورفع « إبلر » يديه فى الهواء بلا تردد !

لكن أحد الجنود لاحظ شيئًا فى قبضة يده .

ـ فصاح الجندى فى فزع : احذر ميجور سانسوم .. إنه يحمل فى يده قنبلة !

وفى نفس اللحظة ألقى « إبلر » بالشىء الذى فى يده نحو وجه الميجور سانسوم .

لكن شيئًا لم ينفجر !

فقد كان الجنود البريطانيون قد انبطحوا جميعًا على الأرض . خوفا من شظايا القنبلة الوهمية !

واستغل الماكر « إبلر » الفرصة ..

وجرى بسرعة محاولاً القفز فى النيل . لكنه فوجئ على سطح العوامة بجندى يشهر مسدسه فى وجهه . فجرى مرة أخرى فى

الاتجاه نحو الشاطئ . لكنه فوجئ بنفسه مباشرة أمام الميجور سانسوم وجها لوجه . وكان الميجور سانسوم يحمل مسدسه فى يده .

هكذا التقى الرجلان ـ الجاسوس ورجل المخابرات ـ هذا اللقاء الغريب ..

قال له « إبلر » باللغة العربية : أهلاً .. عمر بك !

ـ رد الميجور سانسوم أيضًا بالعربية : أهلاً حسين جعفر .. انتهى كل شىء وهذه هى نهاية الطريق !

* * *

لكنها أبدا لم تكن نهاية الطريق !

لأن القبض على الجاسوس فى عرف أجهزة المخابرات لا يعنى دائما الوصول إلى النهاية

الا فى حالة .. أن يتكلم الجاسوس !

وكان سقوط « إبلر » و« مونكاستر » فى يد الإنجليز يعنى حصول هؤلاء على كنز لا يقدر بمال من المعلومات . فلا بد أن لدى الجاسوسين الألمانيين الكثير من المعلومات التى يمكن أن يستفيد منها الإنجليز فى تحقيق النصر على روميل . فالمعلومات فى الحروب قد تكون أحيانًا أقوى من الدبابات .

وكـان رجـال المخـابرات البريطانيـة الآن يريـدون أن يعرفـوا . ما هى المعلومات التى كان روميل بدوره يريدها ؟

وهل وصلت إليه هذه المعلومات بالفعل .. بواسطة الجاسوس « إبلر » وزميله ؟!

ذلك .. كان طريقًا آخر .

ولم يكن طريقًا سهلاً .. إلى حين !

الفصل الثامن

رسالة كاذبة .. إلى ثعلب الصحراء !

كشفت المخابرات البريطانية فى القاهرة شخصية الجاسوسين « إبلر » و« مونكاستر » الذين أرسلهما ثعلب الصحراء روميل للحصول على المعلومات العسكرية التى يريدها عن الجيش البريطانى . وأسرعت قوة بريطانية برياسة الميجور سانسوم ضابط المخابرات البريطانية للقبض على الجاسوسين فى عوامتهما بالزمالك .

● وحاول « إبلر » الهرب ..

لكنه وجد الميجور سانسوم على سطح العوامة أمامه وهو يصوب نحوه مسدسه . فأسقط فى يده وعلم أنه سقط فى أيدى الأعداء ..

وطلب الميجور سانسوم من جنوده . أن يقوموا بتفتيش العوامة بحثا عن جهاز اللاسلكى .

كان الجاسوس « مونكاستر » قد نفذ مهمته فى سرعة . وأسرع إلى باطن العوامة حيث فتح بعض البوابات . فاندفعت المياه لتغرق العوامة !

وكان « إبلر » يقف على الشاطئ وهو مقيد اليدين . لكنه كان يبتسم وهو يسمع سانسوم يطلب من جنوده البحث عن جهاز اللاسلكى داخل العوامة التى كانت قد أوشكت على الغرق .

لكن ابتسامته تقلصت عندما شاهد الجنود البريطانيين يغادرون العوامة وهم يقتادون وسطهم زميله « مونكاستر » بعد أن ألقوا القبض عليه . بعد نجاحه فى إغراق العوامة ! .

* * *

تم نقل « إبلر » و« مونكاستر » تحت الحراسة المشددة إلى مقر المخابرات البريطانية فى المعادى ..

بدأ ضباط المخابرات الإنجليز استجوابهما طوال النهار وبعض الليل !

لكن الجاسوس « إبلر » كان داهية ماكرا !

واستطاع إخفاء كل ما كان ضباط المخابرات الإنجليز يريدونه من المعلومات . وظل يفكر ثم يراوغ لأطول وقت ممكن !

وكان الضباط الإنجليز يريدون منه سر الشفرة التى يتحدث بها إلى روميل فى الصحراء .

وفى هذه اللحظات المثيرة ظهر ضابط المخابرات البريطانى « روبى » والذى كان من قبل قد عثر مع خبيرى الشفرة الألمانيين « آبيل » و« وبير » الذين قبض عليهما فى الصحراء . وعثر بين أمتعتهما على رواية « ربيكا » . التى تبين أن المخابرات الألمانية اشترتها من « لشبونة » !

جاء الضابط « روبى » ليتابع استجواب الجاسوسين الألمـانيين « إبلر » و« مونكاستر » اللذين قبض عليهما مؤخرا .

ـ قال أحد الضباط « لروبى » : هل عرفت ماذا وجدنا فى أمتعتهما ؟ لقد وجدنا نسخة من رواية « ربيكا » تأليف دوبان دى مورييه !

هنا فى هـذه اللحظة اكتشـف ضـابط المخـابرات « روبى » أن الجواسيس الألمان يستخدمون رواية « ربيكا » كشفرة خاصة !

فرد على الضابط قائلاً : حسـنا .. ولكـن أى جزء مـن الروايـة كانوا يستخدمونه . وفى أى صفحاتها توجد الشفرة ؟

وأصيب رجال المخابرات البريطانية بما يشبه الجنون !

فقد كان « إبلر » مستمرا فى صمته أو مراوغته . وكـان يريد أن يطيل وقت الاستجواب. حتى بعد السـاعة الثانيـة عشـرة مسـاء . وهو موعد الاتصال الذى كـان محـددا بينـه بين محطـة الاستقبال الألمانية . إذا لم يتم هذا الاتصال فى موعده . فان الألمان بالتـأكيد سيتأكدون من القبض على جواسيسهم ..

وعندما كثف رجال المخـابرات البريطانيين ضغوطهم على « إبلر » . قال لهـم بتماسـك غريب : إذا كنتـم تعتقدون إننى جاسـوس ألمـانى حقًا . فلماذا لا تقتلونى ؟ ولا تضيعوا وقتكم . لأنكم لن تجدوا شيئًا لدى !

ووقف الضباط الإنجليز حائرين أمام عناد هذا الجاسوس .

فـى نفس اللحظـة سمعوا صـوت ضجـة صـادرة مـن زنزانـة الجاسوس « مونكاستر » المجاورة .

وأسرعوا إلى الزنزانة ..

وصيحات « إبلر » خلفهم يقول : لقد قمنا بعمل قرعة فيما بيننا واختار هو الصورة فخسر .. ولا بد أن ينفذ الاتفاق !

★ ★ ★

أسرع الضباط إلى زنزانة « مونكاستر » . فوجدوه قد حاول الانتحـار بالموس التى كان يخفيها فى ملابسه . حاول قطع شرايين معصمه بها .

• وأسرعوا ينقلونه إلى المستشفى ..

وجعل هذا « إبلر » يزداد عنادا . ويصر على التزام الصمـت .. فلم يبق على منتصف الليل سوى ١٦ ساعة !

وكان الجنود الإنجلـيز قد تمكنـوا مـن انتشـال العوامـة الغارقـة وبـدأوا يفتشـونها . حتـى عثـروا علـى جهـاز اللاسلكى . فحملـوه بعناية وقام خبراء اللاسلكى بتفكيك أجزائـه..

فى نفس الوقت أكدت إحدى الوحدات اللاسلكية التابعة للمخـابرات البريطانيـة . أنهـا تمكنـت مـن معرفـة ذبذبـة الموجـة التـى كـان الجواسيس الألمان يستخدمونـها .

لكن ظلت المشكلة .. أن تعثر المخابرات البريطانية على الشفرة ! بينما « إبلر » لا يزال يرفض الكلام !

أما بطلة القصة الحقيقية .. حكمت فهمى فقد كان لا بد أيضًا من أن تقع فى أيدى الإنجليز !

كانت قد غادرت عوامتها عندما فوجئت بعدد من الجنود والضباط البريطانيين يحيطون بها ويلقون القبض عليها . وبسرعة تم الذهاب إلى مقر المخابرات البريطانية . واجتمع حولها عدد من الضباط البريطانيين يستجوبونها . وهم لا يصدقون أن هذه الراقصة الجميلة . التى طالما أسعدتهم برقصاتها فى ملهى الكيت كات . هى نفسها التى كانت وراء الجاسوس الألمانى « إبلر » وأنها خدعت الكثيرين من الضباط الإنجليز . وحصلت منهم على معلومات سرية . أعطتها لجاسوس روميل !

* * *

● وبدأ استجواب حكمت فهمى ..

ـ قال لها قائدهم : اسمعى يا حكمت .. إن فى إمكاننا الآن أن نقم بتسليمك للبوليس المصرى . لكننا لن نفعل . كل ما نريده منك أن تجيبى بصراحة عن أسئلتنا .

● قاطعته حكمت فهمى : أنا لا أعلم شيئًا .. لم أكن أعلم أنهما

جاسوسان ألمانيان . وكنت أجلس معهما فى الملهى لأنى كنت صديقة لعائلة حسين جعفر . كنت أعرف أمه منذ مدة طويلة . عملى يتطلب أن أكون لطيفة مع الناس الذين أجلس معهم .

وهنا أظهر لها ضابط المخابرات جاكيتة بدلة عسكرية . تحمل رتبة ميجور

وقال لها : لطيفة مع الناس ؟ مع الميجور صاحب هذه الجاكيتة مثلا ؟ هذه الجاكيت خاصة بالميجور« سميث » . لقد كنت لطيفة معه يا حكمت .. وكان هو أيضًا لطيفًا معك ؟

● ردت حكمت فهمى فى سخرية : سميث ؟ هل تسميه ضابطا .. هل تقل إنه ميجور؟!

ثم واصلت قائلة : لقد كان فى مهمة سرية ومهمة عاجلة . كان مرسلا بتقرير سرى مهم للقيادة فى الخطوط الأمامية فى الصحراء . فماذا فعل ؟ لقد حضر إلى عوامتى ومعه حقيبته المهمة بكل ما فيها من أسرار . وكان فى استطاعة أى إنسان أن يعرف هذه الأسرار .. لقد كان مغفلاً !

ـ قال لها الضابط : وبالطبع أنت عرفت هذه الأسرار !

● ردت حكمت بجرأة : طبعًا عرفتها .. وكانت أسرارًا يسيل لها لعاب الألمان !

ـ سألها الضابط الإنجليزى : من صالحك أن تقولى لنا ماذا كانت هذه الأسرار ؟

● قالت حكمت : ربما يكون حديثى عن هذه الأسرار فى مصلحتى . لكنه دون شك ليس فى مصلحتكم . الوقت متأخر . وكل خططكم لم تعد سرًا . الأماكن التى ستركزون فيها دفاعاتكم يعرفها روميل ، كل خططكم الاستراتيجية أرسلها إليه « إبلر » . الوقت متأخر فعلاً . فقد أرسل « إبلر » هذه المعلومات لروميل مساء أمس .

● ابتسم ضابط المخابرات البريطانى ساخرا ..

ـ وقال لها : فى أيام الحرب .. قد يلعب الحظ دورا كبيرًا .

● سألته حكمت : ماذا تقول .. إننى لا أفهم شيئًا ؟

ـ رد عليها ضابط المخابرات ساخرا : ستعرفين كل شىء .. فى الوقت المناسب !

كانت حكمت فهمى تعتقد أن « إبلر » قد أرسل المعلومات الخطيرة بالفعل إلى روميل . لم يخطر على بالها أبدا أنه لم يستطع إرسال هذه المعلومات أبدا . لأنه قبض عليه قبل الموعد المحدد لإرسالها وهو منتصف الليل !

* * *

● فى سجن المخابرات الإنجليزية بالمعادى ..

كانت عملية استجواب « إبلر » مازالت مستمرة .

● وفى المستشفى ..

كان « مونكاستر » يقترب من الموت . بالرغم من عمليات نقل الدم التى أجريت له .

ـ وقال الطبيب : يبدو أنه لا أمل فى شفائه .. فهو فى إغماء مستمر !

وكان رجال المخابرات البريطانية يعتبرن أن « مونكاستر » هو فرصتهم الوحيدة . أنهم لو استطاعوا إنقاذه فسيكونون قد حققوا نصرًا كبيرًا . ويمكنهم أن يزعموا « لمونكاستر » أن « إبلر » قد مات . ويتمكنون بذلك من التأثير نفسيًا عليه . والحصول على المعلومات التى يريدونها منه بسهولة حينئذ .

وكان رجال المخابرات الإنجليز فى المعادى يحيطون « بإبلر » ويواصلون إلقاء الأسئلة عليه كوسيلة ضغط معنوى .

● من أين أتيت ؟

● هل أنت ألمانى ؟

● هل أنت نصف بريطانى ؟

● لماذا تعمل لحساب النازية ؟

● ولماذا لا تعمل فى صفوف الإنجليز ؟

لكن « إبلر » كان يستمع إلى كل هذه الأسئلة فى هدوء . ثم يبتسم .

- ويقول لهم : أنا أحاول أن أخدم بلادى ! لقد قبضتم علىّ . لماذا إذن لا تتخلصون منى الآن . وتطلقون علىّ الرصاص ؟!

★ ★ ★

وبدأت المخابرات البريطانية تشعر بالقلق بالفعل ..

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة مساء . ولم يعد هناك سوى ساعة واحدة على منتصف الليل . الموعد الذى حدده الألمان لكى يتصل بهم « إبلر » . فإذا لم يتصل فانهم سيدركون أنه تم القبض عليه وسقط فى أيدى الإنجليز .

وكانت المخابرات الإنجليزية من ناحية أخرى تريد أن تخدع روميل . بأن ترسل له معلومات خاطئة . لكنهم فشلوا فى معرفة شفرة الإرسال التى كان « إبلر » و« مونكاستر » يستخدمانها .

● وانتصف الليل ..

وفى إحدى محطات التحذير البريطانية اللاسلكية . كان هناك جندى سهران يراقب الإشارات اللاسلكية . فجأة نهض من مكانه أمام أجهزة اللاسلكى . وأسرع يتصل بضابط مخابرات كبير ويوقظه من النوم ويتصل به تليفونيًا .

- وقال له : سيدى .. إن محطة جواسيس روميل فى القاهرة قد عادت للعمل . سجلت عندى بعض إشاراتها !

● صاح الضابط فى دهشة : مستحيل .. لقد قبضنا على الجواسيس الألمان فكيف تعمل المحطة إذن ؟

- قال جندى اللاسلكى : لقد تمكنت من تسجيل الإشارة المرسلة من هذه المحطة . هى بالشفرة . لكنها مختصرة جدًا .

نهض ضابط المخابرات الإنجليزى مسرعًا يحاول استيعاب ما سمعه . لكنه سرعان ما أسرع إلى التليفون. يتصل برئيسه ويبلغه بما سمعه . من أن جهاز إرسال الجواسيس الألمان قد بعث برسالة مشفرة . رغم أن الجواسيس تم القبض عليهم . جهاز اللاسلكى بحوزة المخابرات البريطانى .. فمن يمكنه تشغيله وإرسال إشارات لاسلكية إلى روميل ؟

● استمع رئيسه له فى هدوء ..

ـ ثم قال له بنفس الهدوء : هـذه مسألة محيرة فعلاً وخطيرة كمـا تقول .. فلمـاذا لا تنـام الآن ونبحث الأمـر فـى الصبـاح .. تصبح على خير !

وجلس ضـابط المخـابرات الإنجليـزى فى فراشه حائرًا لا يفهم سر هـذا البـرود مـن قـائده . ورد فعلـه اللامبـالى تجـاه الخـبر الخطير .

لكن الحقيقة أن قيـادة المخـابرات البريطانيـة كـانت تخفـى سرًا عن الكثير من ضباط المخابرات العاملين فيها !

★ ★ ★

فى مقر قيادة روميل ..

عقد الفيلد مارشال اجتماعًا مهما لقواده . فى الوقت الذى كانت فيه قواته قد أصبحت على أهبة الاستعداد . فى انتظار إشارة ثعلب الصحراء الأخيرة . للقيام بهجوم شـامل على الجيـش البريطـانى الثامن وسحقه . ودخل القاهرة .

● وقال روميل لقواده : إن الأسئلة التى نريد إجابة لها الآن هـى : أيـن نبـدأ ضربتنا القـادمة ؟ ومتى ؟ وكـم بقـى أمامنــا مـن الوقــت ؟

● وفى نفس اللحظة ..

اقتحم الاجتماع ضـابط ألمـانى . بعد أن أدى التحيـة العسكرية النازية . سلم بيد مرتعشة ورقة مطوية لروميل ..

● الـذى كـان يصيح فيـه بغضـب : كيـف تقتحـم الاجتمـاع بهـذه الطريقة ؟

ـ رد الضابط : لكن يـا سيدى الفيلد مارشـال أعتقد أن بداخل هذه الورقة شىء مهم !

قرأ روميل الورقة بنظرات سريعة .. ثم ابتسم ..

وبـدأ يعيد على قواده الرسـالة التـى كـانت تقـول : « كونـدور يتكلم .. علمنا مـن مصادر مطلعـة أن الجيش الثامن سوف يركـز دفاعه عن مصر فى منطقة علم حلفا . وقـوات هـذا الجيش تنتظـر الامدادات . والتى وصلت فعلاً إلـى بورسعيد . لكـن الإنجليز لـن يتمكنوا من نقلها إلى الخطوط الأمامية قبل مضى شهر . والقـوات الموجودة حاليًا لا تستطيع صد أى هجوم .. انتهى » .

● ثم اتسعت ابتسامة روميل ..

● وقال لقواده : هذه الرسالة بعث بها « إبلر » .. كبير جواسيسـنا وأعظم أبطالنا !

★ ★ ★

وأصدر روميل الأوامر ببدأ الهجوم الألمانى الكبير بعد ٤٨ ساعة . على أن يكون هدف هذا الهجوم علم حلفا .

ولم يخطر على بال ثعلب الصحراء أبدًا . أن جاسوسه لم يبعث أبدا بهذه الرسـالة اللاسلكية . وإنمـا الـذى بعثهـا هـو قيـادة المخابرات البريطانية . وأن كل معلومات الرسالة كاذبة ومضللة !

* * *

الفصل التاسع

القبض على أنور السادات فى بيت والـده !

بعد أن ألقى الإنجليز القبض على الجاسوسين «إبلر» و«مونكاستر» وعلى الراقصة حكمت فهمى . تم نقلهم إلى سجن الأجانب فى القاهرة . وعلم الإنجليز أن الضابط الثائر الشاب أنور السادات . قد تعرف إلى الجاسوسين . وتطوع لإصلاح جهاز اللاسلكى الذى كان معهما . فتم إخطار السلطات المصرية للقبض عليه .

وكان أنور السادات ينوى أخذ جهاز اللاسلكى إلى ورش الجيش فى الجبل الأصفر لإصلاحه . ولم يكن بالطبع يدرى أن المخابرات البريطانية كانت تتعقب الجاسوسين الألمانيين .

وفوجئ أنور السادات ذات صباح عندما وصلته وزميله حسن عزت رسالة من عبد الغنى سعيد الذى كان قد عرفهما من قبل بالجاسوسين . يبلغهما أن المخابرات البريطانية ألقت القبض على «إبلر» وزميله .

وتوقع أنور السادات أن يتم القبض عليه وعلى حسن عزت فى أسرع وقت ..

وكان عليه أن يعمل على إخفاء جهاز اللاسلكى الذى هو الدليل على اتصاله بالجواسيس الألمان .

حمل أنور السادات جهاز اللاسلكى فى حقيبته وذهب مع زميله حسن عزت إلى صديق له يسكن فى شبرا لإخفاء جهاز اللاسلكى عنده . لكنهما لسوء الحظ وجدا بيته مغلقا . قال لهما البعض إن الرجل سافر إلى قريته !

★ ★ ★

● وأسقط فى يد أنور السادات !

ولم يجد ما يفعله سوى أن يعود إلى بيته أو بالأصح بيت الأسرة الذى كان يعيش فيه فى كوبرى القبة حاملاً جهاز اللاسلكى . حيث أخفاه فى حجرة من الحجرتين اللتين كان يشغلهما .

وقد روى أنور السادات فى كتاب «البحث عن الذات» قصة القبض عليه .

●ففى نفس الليلة وفى وقت متأخر ..

دق عدد من الضباط باب بيت أنور السادات أكثر من مرة . حتى استيقظ أهل البيت .

سألوهم : اليوزباشى أنور السادات ساكن هنا ؟

● ردوا : نعم .

اقتحم الضباط البيت بسرعة . كانوا فرقة ضباط كاملة من المصريين والإنجليز . وحوالى ٣٠ مخبرا انتشروا فى الحديقة والبيت . حتى أصبح من الصعب معرفة عددهم .

وكان فى حديقة البيت كلب بلدى !

وما أن شاهد الكلب هذا الجيش من الضباط والجنود الغرباء . حتى اتخذ لنفسه موقعًا إلى جانب الفرن . وأخذ ينبح بشدة فى احتجاج ربما . ولكن فى أغلب الظن مدافعًا عن الفرن . مصدر لقمة العيش لأهل هذا البيت الهادئ المطمئن الذى يأوى إليه !

● واتجه الضباط نحو أنور السادات ..

وسألوه : أين حجرتك ؟

فأشار لهم نحو إحدى الحجرتين الذين كان يشغلهما . وكانت حجرة نومه .

وأسرع الضابط لتفتيش حجرة النوم !

★ ★ ★

بينما كان فريق الضباط الإنجليز والمصريين يقومون بتفتيش حجرة نوم أنور السادات. لاحظ ضابط المخابرات المصرى « سيف اليزل » وجود مسدس آخر إلى جانب مسدس أنور السادات العسكرى . وبكل بساطة وهدوء تناول الضابط المصرى المسدس ووضعه فى جيبه . دون أن يلاحظ بقية الضباط ذلك !

ولم يكن أنور السادات يعرف ضابط المخابرات « سيف اليزل » . والذى لم يكن بدوره يعرفه . ولم تكن هناك علاقة أو صلة بين الاثنين !

لكن فى الحقيقة كانت تربط الضابطين المصريين صلة أقوى من أية صلة .. وهى الاحساس بالوطنية الذى يشعر به كل مصرى !

وبعد أن انتهوا من تفتيش حجرة النوم . طلبوا تفتيش الحجرة المجاورة والتى كانت حجرة مكتب أنور السادات !

● قال لهم أنور السادات بكل هدوء أعصاب : حريم الأسرة فى هذه الحجرة .. والتقاليد تقتضى اخلائهن قبل دخول الضباط !

وسمح الضباط لأنور السادات بأن يدخل الحجرة قبلهم لكى يصرف النساء اللاتى بداخلها . ودخل أنور السادات الحجرة التى لم يكن بها أى نساء . لكن كان فيها جهاز اللاسلكى وصفيحة بارود . كان يصنع فى القرية من خشب شجر الصفصاف السماد .

وبسرعة طلب أنور السادات من أخيه الأكبر طلعت أن يأخذ جهاز اللاسلكى والصفيحة ويخفيهما فى أى مكان . وأسرع طلعت بهما خارجا من الباب الخلفى . حيث قام بدفن جهاز اللاسلكى فى وقود الغرف وتركه مع الصفيحة . فى حراسة الكلب الطيب . الذى غطى نباحه المستمر على تحركات طلعت السادات !

وبعد أن دخل الضباط حجرة مكتب السادات لم يجدوا فيها سوى بعض الكتب فأخذوها .

ثم طلبوا من أنور السادات أن يذهب معهم !

★ ★ ★

فوجئ السادات بأنهم حملوه إلى سجن الأجانب !

فرفض دخول السجن ..

وقال لهـم : القـانون يقضـى بـأن حبس أى ضـابط فـى الجيـش المصـرى . لا يكـون إلا فـى ميــس الضبــاط . حيــث يقــوم علــى حراسته ضابط جيش مثله .

وأسقط فى أيديهم !

فاقترحوا عليه أن يقضى بقيــة الليلــة ضيفًـا علـى البوليس فـى مكاتب الفرقة (ب) بجاردن سيتى . حتى ترسل قيادة الجيش فـى طلبه فى الصباح .

● ووافق أنور السادات على الاقتراح ..

وفى صباح اليوم التالى كان فى ميس سلاح الفرسان بالجيش . وكان معه زميله حسن عزت الـذى تـم القبض عليـه أيضًـا . لكـن كان كل واحد منهما محتجزًا فى ناحية بعيدة عن الآخر . ولم تكـن تجمعهما سوى وجبة الافطار .

● وفى وجبة الافطار ..

كان قائد الفرسان أحمد رياض يجلس الاثنين جنبًـا إلـى جنـب . ويهمس إليهما بأن ينهيـا حديثهمـا بسرعـة . إذ لا بد بعد الإفطار أن يتوجه كل منهما إلى مكانـه .

وكان هذا موقفًا وطنيًا رائعًا من قائد الفرسان ..

لكن أنور السادات قضى ثلاثة أيام بلياليها لم يذق خلالها الطعام !

فقط كان يشرب الماء . لكنه لم يكن يرتوى . كأن شيئًا بداخله يحترق !

كان عقله يعمل ليل نهار بحثًا عن مخرج لما هو فيه!

ولم يكن يستطيع الإنكار !

وكان يدرك ذلك . فقد التقى بالفعل مرات ومرات مع الجاسوس « إبلر » . كان طريق الخلاص الوحيد أن يجد تبريرًا متكاملاً مقنعًا لكل ما حـدث . وأطلـع السـادات زميله حسـن عزت على تفـاصيل القصة كلها . حتى لا تتناقض أقوالهما فى التحقيقات .

● وهنا فقط ..

استراح السادات وعاد إلى حياته الطبيعية . يأكل ويشرب وينام !

★ ★ ★

تم اصطحاب أنور السادات وحسن عزت إلى مقر رئاسة الجيش ..

ووقف الاثنان فى طابور مع عدد آخر من الضباط !

وفوجئـا بـأن هـذا الطـابور لكــى يتعـرف عليهمـا الجاسوسـان « إبلر » و « مونكاستر » !

وتعرف عليهما الجاسوسان مرة بعد مرة كالصاروخ !

كان « إبلر » فى كـل مـرة يتوجـه مباشرة نحـو أنـور السـادات ويشير نحوه بلا تردد!

أما الجاسوس « مونكاستر » فقد كان أقل جرأة . وكان يمشى أمام الطابور ثم يعود ليشير نحو السادات !

وتقرر تقديم السادات وحسن عزت إلى المحاكمة !

وكان المفترض محاكمتهما أولا أمام مجلس تحقيق . تمهيدا لتقديمهما إلى المجلس العسكرى . وكان مجلس التحقيق يتكون من اثنين من الضباط الإنجليز وضابطين من الجيش المصرى . وضابط بوليس هو كمال رياض من الفرقة (ب) شرطة . وهو تشكيل خاطئ فى عرف الجيش .

وبدأوا فى استجواب أنور السادات ..

سألوه : تعرف « إبلر » ؟

● رد : لا ..

سألوه : تعرف حسين جعفر ؟

● رد : لا ..

أشاروا ناحية « إبلر » ..

وسألوا السادات : هل تعرف هذا الذى تعرف عليك ؟

رد السادات : طبعا أعرفه .. إنه الميجور ابراهام من الجيش البريطانى !

● ارتبك مجلس التحقيق للحظات ..

لكنهم عادوا يسألونه : ألم تأخذ منه جهاز لاسلكى ؟

● رد السادات : جهاز لاسلكى ؟ طبعا لا . هذا الرجل قدم لى نفسه وزميله على أنهما من ضباط سلاح الإشارة الإنجليزى . أنا بطبيعة عملى أتعاون مع هذا السلاح . لذلك التقينا أكثر من مرة .

وكان السادات ذكيًا يعرف أن أفضل وسيلة للدفاع هى الهجوم !

فالتفت ناحية الجاسوس « إبلر » ..

● وباغته قائلاً : أتذكر لقاءنا فى محل الجمال يا ميجور ابراهام ؟

رد « إبلر » فى دهشة : نعم أذكره .. لكنى لم أقل لك إن اسمى ابراهام بل قلت لك إننى ألمانى وأن اسمى « إبلر » !

● رد عليه السادات على الفور : لو كنت قلت لى هذا .. لكنت أبلغت عنك !

سأله « إبلر » : طيب .. وماذا عن العوامة ؟

● رد السادات : أى عوامة .. أنا لا أفهم ماذا تقصد ؟!

قال لـه « إبلر » : هل نسيت عندما نبح الكلب وأنت تغادر العوامة حاملا جهاز اللاسلكى ؟

وشعر السادات بالغيظ من « إبلر» الذى كان يجلس إلى جـواره . فضغط بكل قوة على قدمه !

نهض « إبلر » من الألم ..

ـ وسأل السادات : لماذا تدوس على قدمى الآن ؟

● رد عليه السادات وهو يتظاهر بالاندهاش : أنا دست على قدمك ؟ لماذا تعدى علىّ بما لم يحدث ؟ العوامة وجهاز اللاسلكى . ونباح الكلب . والآن قدمك ؟ ما هو قصدك من كل ذلك ؟

ـ رد عليه « إبلر » قائلاً : لا فائدة .. لقد اعترفت بالكامل .. ويجب أن تعترف مثلنا !

● قال السادات بمنتهى الهدوء : أعترف بماذا ؟ أنا أعرفك فعلاً . ولكن كضابط إنجليزى !

ـ قال له « إبلر » إذن .. فماذا عن مصر الجديدة ؟

★ ★ ★

كان أنور السادات قد رتب للقاء الجاسوس « إبلر » مع الفريق عزيز المصرى فى محل بمصر الجديدة . وكان سؤال « إبلر » مباغتا .

● لكن السادات رد فى تماسك : نعم حدث .. لقد التقينا فى مصر الجديدة ؟

ـ قال له « إبلر » : ومن كان معنا فى مصر الجديدة ؟

على الفور اخترع أنور السادات قصة مؤداها أن « إبلر» أو الضابط الإنجليزى « إبراهام » جاء للقائه فى محل « هولت » فى مصر الجديدة . ليخبره أن زميله «مونكاستر » مريض !

وهكذا نجح السادات فى تضليل مجلس التحقيق .. وإرباك الجاسوس « إبلر » أيضًا !

وجاءوا بحسن عزت . فكانت أقواله مطابقة لأقوال السادات .

وجاءوا « بمونكاستر » ففعل به السادات ما سبق أن فعله مع « إبلر » !

وانهارت أركان القضية !

وتم إعادة السادات وحسن عزت معتقلين إلى ميس الضباط .

● وجاء شهر رمضان ..

وذات يوم وقبل المغرب بساعة واحدة فوجئ أنور السادات بوالده يدخل عليه ميس الضباط المحتجزين . وهو شاحب الوجه يبدو عليه الإعياء والانهيار !

وكان أحد ضباط المدفعية هو المكلف بحراسة السادات . فنهض ليتركه يتكلم بحرية مع والده !

● وسأل أنور السادات والده عن سر زيارته ..

ـ قال له والده وهو يجمع أنفاسه : اليوم جاء لى اللواء على باشا موافى رئيس إدارة الجيش . وقال لى إن موقف ابنك ميئوس منه والأفضل أن يعترف . ففى هذه الحال سيصدر ضده حكم مخفف . أما إذا لم يعترف فسوف يقتلونه رميا بالرصاص فى الفجر.

استمع السادات إلى حديث والده فى هدوء ..

وأدرك مما سمعه أن الجهود لإقامة قضية ضده وضد حسن عزت قد فشلت تمامًا . ولذلك فهم قد لجئوا للضغط نفسيًا على والده بهذه الحيلة الرخيصة كمحاولة أخيرة !

● قال السادات لوالده : لكى يضربونى بالرصاص لا بد من مجلس عسكرى عالى وتهمة تكون ثابتة ضدى .. هذا هو النظام فى الجيش .. ولو كانت هذه التهمة فى أيديهم فعلاً . لما لجئوا إليك لتطلب منى الاعتراف !

واقتنع الأب بما قاله الابن !

وكان الرجل يأخذ دائما كلام ابنه كأمر مسلم به !

فاسترد أنفاسه وزال اضطرابه . ثم جلس ليتناول طعام الإفطار مع ابنه . وخرج بعده وهو مطمئن كل الاطمئنان أن لا خطر على حياة ابنه على الاطلاق !

★ ★ ★

● فى اليوم التالى ..

فوجئ والد أنور السادات باللواء على موافى رئيس إدارة الجيش يدخل عليه مكتبه ليعرف نتيجة لقائه مع ابنه .

● قال له والد السادات : اسمع يا باشا.. إذا كان ابنى مخطئ فاضربه بالرصاص .. وإذا كان بريئا فواجبكم أن تعيدوه إلى عمله !

أخذ موافى باشا يحذر الرجل من نتيجة اصرار ابنه على الاعتراف .

ـ لكن والد السادات قال له : افعلوا ما تشاءون .. وليس عندى غير ما قلته!

وأوشك شهر رمضان على الانتهاء .. والسادات مازال معتقلاً فى ميس الضباط بالجيش ..

وقبل المغرب بساعة أيضًا طلبه رئيس أركان حرب قسم القاهرة . وأبلغه بأنه قد صدر النطق الملكى السامى بالاستغناء عن خدماته كضابط فى الجيش المصرى !

وهكذا تم خلع الرتبة العسكرية من على كتفى أنور السادات ..

ثم تقدم منه الضابط محمد إبراهيم رئيس البوليس السياسى وقال له : تعال معنا إلى المحافظة لعمل بعض الإجراءات .

● وفهم أنور السادات أنهم سوف يعتقلونه .

● فسأله : إلى أين نحن ذاهبون بالضبط . حتى يعرف المراسلة أين أنا . فيحضر لى طعام الافطار ؟

رد رئيس البوليس السياسى : إلى سجن الأجانب !

* * *

طوال الطريق إلى سجن الأجانب ..

لم يغادر مخيلة أنور السادات طيف « زهران » بطل دنشواى . الذى سار إلى الموت سعيدا بما فعل . لا يخشى الموت الذى سيلقاه بعد قليل !

أخيرًا فعل أنور السادات ـ كما كان يحلم ـ ما فعله زهران !

وفى تلك اللحظة غامره شعور بأن « زهران » لم ينهزم قط !

ورغم أنهم حكموا عليه بالاعدام . إلا أن إرادته لم تمت .

وشعر السادات بأنه امتداد لهذه الإرادة . التى سرت فى كيانه منذ طفولته . إرادة النصر والتحدى ..

ووصلت به السيارة التى كانت تقله إلى سجن الأجانب ..

وبينما كان يصعد السلم فى طريقه إلى زنزانته كان يغامره شعور فرح غريب .

لقد انتصر .. كما انتصر زهران .

رغم تجريده من رتبته .. ورغم اعتقاله !

الفصل العاشر

السادات يتعلم الألمانية .. من شقيق الجاسوس !

هكذا اجتمع أبطال قضية التجسس ضد الجيش البريطـانى كلهـم فى سجن الأجانب بالقاهرة .

الجاسوسان الألمانيان « إبلر » و « مونكاستر » ..

والراقصة حكمت فهمى ..

والضابط الثائر الشاب أنور السادات ورفيقه حسن عزت .

وكان « إبلر » الذى صمد منذ لحظة القبض عليه وتماسك أمـام استجواب رجال المخابرات البريطانية طويلا . قد انهار فى النهايـة واعترف . وكانوا قد بدءوا فى استخدام العنف معـه . وكسـر أحـد الضباط الإنجليز أنفه !

وكانوا يخضعونه للأسئلة لساعات ..

ثم يتركونـه لتدخـل مجموعـة أخـرى مـن الضبـاط لتواصـل استجوابه لساعات أخرى !

بل إنهـم أعطوه حقنـة تمت تجربتهـا على بعض الحيوانـات . تجعل من يأخذها . يرد على الأسئلة فى غير وعيه !

لكن حدث أن كان وينستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا . قد جاء فى زيارة لمصر .

وطلب تشرشل أن يحضروا له الجواسيس الألمان .

وتحدث تشرشل مع « إبـلر » و« مونكاستر » . ووعدهمـا بـألا يحكم عليهما بالإعدام .. إذا تكلما !

فاعترف الاثنـان !

وباحا للمخـابرات البريطانيـة بسـر الشـفرة . وهكـذا تـم إرسـال اشارة كاذبة لروميل . تقول إن البريطانيين سوف يركزون دفاعهم فى علم حلفـا وليس فى العلميـن . وإن الجيش البريطـانى ـ علـى عكس الحقيقة ـ ضعيف وبلا إمدادات !

وابتلع ثعلب الصحراء الطعم الإنجليزى !

وكان هذا أحد أهم أسباب هزيمته الساحقة !

ولم يدخل مصر أبدا !

* * *

كانت تلك أول مرة يدخل فيها أنور السادات سجن الأجانب ..

وكان هذا السجن مخصصًا للعمليات المتعلقة بمعركة الإنجليز . وكان مأموره مستر هيكمان ملطى الأصل بريطانى الجنسية .

دخل السادات زنزانته فى الدور الأول ..

وبعد قليل حان موعد آذان المغرب . وصلى السادات ثـم تنـاول افطاره . ثم أشعل سيجارة ومضى يفكر فى حيرة .

● ما هو الحل ؟

سوف يقضى مدة السجن .. ولكن ماذا سيفعل بعدها ؟

لقد تم تجريده من رتبته العسكرية .. وأصبح بلا عمل !

كان يذرع ماشيا على قدميه فى أنحاء الزنزانة فى حيرة . يبحث عن إجابة لتساؤلاته بلا جدوى !

وكما يحدث فى القرية ..

جلس السادات على الأرض . واستند بظهره إلى الفراش .

وفجأة .. خطرت قريته على باله !

وفى اللحظة نفسها عاد إليه الهدوء والسكينة . وأدرك أنه يكفى أن يكون فلاحا بسيطا. ليكون أسعد الناس .

ومضت به الأيام فى السجن ..

وكان سجن الأجانب يختلف عن بقية السجون .. ففى كل زنزانة سرير وبطاطين ومقعد وطاولة صغيرة .

وكان مسموحا بالتدخين فى السجن ..

لكن بشرط غريب .. أن يشعل السجان السيجارة بنفسه .. ثم يقدمها إلى السجين !

لأنه لم يكن من حق السجين أن يحمل معه ولاعة أو صندوق أعواد ثقاب !

وتشجع السجين أنور السادات ..

وطلب من إدارة السجن الجرائد . فأحضروها له مع بعض الكتب . وفكر فى أن يقوى نفسه فى اللغة الإنجليزية . فطلب بعض الكتب الإنجليزية . وأرسل له هيكمان مأمور السجن بعض القصص القصيرة باللغة الإنجليزية !

اكتشف السادات بعد فترة أنه يقضى داخل السجن وقتًا لا بأس به !

كان يقرأ ويخرج إلى فناء السجن مرتين فى اليوم . كل مرة لمدة ربع ساعة ليمارس فيها رياضته المحببة هى المشى بين أركان السجن!

● وذات صباح ..

استيقظ أنور السادات من النوم فى زنزانته على صوت امرأة تغنى !

كانت تغنى أغنية .. « لا والنبى يا عبده » !

وسأل الحراس عن صاحب هذا الصوت ؟

ـ فقالوا له : إنها حكمت فهمى !

وقالوا له إنها فى الزنزانة المجاورة !

لكن عادت تصرخ .. وتولول !

* * *

وذات يوم فتح عليه الحارس باب الزنزانة .. وسار به حتى مكتب

مأمور السجن . ففوجئ بوجود الجاسوس « إبلر » فى المكتب . ومن جديد عادوا يسألون السادات . وهو يعطيهم نفس الإجابات التى قدمها فى مجلس التحقيق العسكرى .

ودق جرس تليفون مأمور السجن ..

ويبدو أنهم كانوا يسالونه عن نتيجة استجواب السادات .

قال المأمور باللغة الإنجليزية : لا أمل .. إنه ينكر على طول الخط !

وكان الضابط حسن عزت سجينا أيضًا فى سجن الأجانب .

لكن لم يكن مسموحًا أن يلتقى بأنور السادات . ومع ذلك فعندما عرف الحراس بأن الاثنين من ضباط الجيش . بدءوا ينقلون الكلام بينهما . بدءوا يعاملون الاثنين معاملة فيها الكثير من التعاطف والود والاحترام .

وبدأ السادات يتأقلم على حياة السجن ..

خاصة بعد أن سمحوا له وزميله حسن عزت باللقاء .

وكان ذلك يعنى أن التحقيقات معهما قد انتهت . وأخذ حسن عزت يحكى للسادات عن مشروعاته بعد خروجهما من السجن . مشروعات صيد سمك وراء خزان أسوان ومشروعات زراعة .

أما مشروع السادات الوحيد فكان أن يعود إلى أرض قريته !

لكن شعوره بالاستقرار والتأقلم فى سجن الأجانب بدأ يهتز ..

ذات صباح فتح عليه السجان باب الزنزانة وطلب منه أن يحزم أمتعته .

سأله السادات : خيرًا ؟

قال السجان : ستنقل من هنا !

سأله السادات : إلى أين ؟

لم يكن عند السجان ردًا !

بسرعة جهز السادات ملابسه . ثم ذهب إلى حجرة مأمور السجن . حيث سلموه رباط حذائه ورباط عنقه وماكينة الحلاقة . وثلاثة جنيهات كان أهله قد أودعوها فى أمانات السجن .

● وسألوه : عهدتك تمام ؟

● رد السادات : نعم تمام .

قالوا له : اتفضل وقع .

ووقع السادات على ورقة بأنه تسلم حاجياته . ثم أمروه بالسير إلى باب السجن . وعسكرى إلى يمينه وآخر إلى يساره !

كان المشهد غريبًا ..

نظر أنور السادات ..

فرأى سيارة (بيك أب) تقف ملتصقة بباب السجن . أما السلم المؤدى إلى الباب فقد غطوه من الجانبين بالبطاطين . كأنهم لا يريدونه أن يرى شيئًا من حوله . أو كأنهم مثلاً يريدون اختطافه !

● دخل أنور السادات السيارة ..

فوجد زميله حسن عزت داخلها . وبمجرد دخوله غطوا باب السيارة الخلفى ببطانية . وأسرعت السيارة نحو محطة سكك حديد مصر !

★ ★ ★

● فى محطة سكك حديد مصر ..

كانوا قد أخلوا رصيف قطار الصعيد من المسافرين . وكانت هناك أعداد كبيرة من رجال البوليس .

وكان هناك فى الانتظار قطار ديزل صغير !

وتم نقل السادات وحسن عزت إلى القطار . ليكتشفا أنهما ليس وحدهما . وإنما كان هناك معتقلون آخرون .

وتحرك القطار .. نحو معتقل جديد !

وكان هذا المعتقل على بعد كيلومترين من مدينة المنيا فى الصعيد . وكان عبارة عن قصر قديم . يقف شامخًا منعزلاً على ضفاف ترعة الإبراهيمية . يحيط به التراب . وخلفه قرية صغيرة لا تختلف كثيرًا عن قرية ميت أبو الكوم قرية السادات !

وكان هذا القصر فى يوم من الأيام ملكًا لأحد أعيان حزب الوفد . ساءت حالته المالية فاستأجرته الحكومة منه وحولته إلى معتقل . عندما وصل السادات وبقية المعتقلين وجد المهندسون

العسكريون لايزالون يعملون فى بناء سور من الأسوار الشائكة حول القصر الذى تحول إلى معتقل !

وكان اسم المعتقل .. « معتقل فاقوسة » !

كان قصرًا .. لكنه كان معتقلاً رغم كل شىء . أصبح فى نظر السادات مجرد سجن مثل بقية السجون .

وفى هذا المعتقل التقى أنور السادات بحسن جعفر الأخ غير الشقيق لحسين جعفر أو الجاسوس الألمانى « إبلر » !

ولم يكن هذا الأخ متورطًا فى أى شىء .. لكن الإنجليز اعتقلوه من باب الاحتياط !

ووجده السادات شابًا دمثًا لطيفًا .

وكان حسن جعفر يجيد اللغة الألمانية الإنجليزية . فطرأت للسادات فكرة طرحها عليه . وهو أن يعلمه حسن جعفر اللغة الألمانية .

وكان مع حسن جعفر رواية لادجار دالاس مترجمة إلى الألمانية . واتفق الاثنان على قراءتها معا .

● وكل يوم ..

كان السادات وحسن جعفر يجلسان على سلم القصر الداخلى لقراءة الرواية ..

وفى أول الأمر كان السادات يقرأ ٤ سطور ..

ثم وصل إلى نصف صفحة .. فصفحة !

وبعد سبعة شهور استطاع السادات أن يقرأ فصلاً كاملاً .

وفى الشهر التاسع .. انتهى من قراءة الرواية كلها !

وأصبح أنور السادات يقرأ الألمانية كما يقرؤها حسن جعفر تمامًا !

* * *

وكان أهل أنور السادات يحضرون لزيارته فى المعتقل كل شهر ..

وجاء شهر رمضان مرة ثانية .. والسادات معتقل !

وكعادته قرأ القرآن ثلاث مرات كل عشرة أيام .

لكن فجأة وقبل نهاية سنة ١٩٤٣ صدرت الأوامر بالانتقال إلى معتقل آخر قرب القاهرة . هو معتقل الزيتون !

وفى هذا المعتقل وجد أنور السادات أن هناك نوعان من المعتقلين . النوع الأول مثله من المصريين الذين يكافحون ضد الإنجليز . أو من أهل سوريا ولبنان المتمصرين . ممن كانت حكومة فيشى أو الألمان يستخدمونهم . أما النوع الثانى فكان من أعضاء أحزاب مناهضة لحزب الوفد الحاكم . مثل حزب مصر الفتاة وحزب الكتلة . الذى كونه مكرم عبيد عندما انشق على النحاس باشا زعيم الوفد .

● فى معتقل الزيتون ..

تعرف أنور السادات على « كونت » من بلاد البلطيق كان معتقلاً أيضًا . وكان رجلا لطيفا . رغم أنه كان معتقلا ومغلوبا على أمره . الا أنه لم ينس أنه « كونت » فكان يأمر وينهى كأنه فى قصره . يتكلم بأرستقراطية جعلته موضع ضحك وتسلية بقية المعتقلين !

وكانت الحياة تمضى بأنور السادات فى معتقل الزيتون فى بطء شديد وملل تام !

وفكر المعتقلون - ومعهم السادات - فى تربية الأرانب . فاشتروا زوجين أو ثلاثة . وبعد ثلاثة شهور فقط تكاثرت الأرانب . وامتلأ بها المعتقل . حتى أصبح من المستحيل أن يخطو المعتقلون داخل المعتقل خطوة واحدة !

وعاش السادات فى هدوء - فى المعتقل - لا يعكره سوى مطبعجى من سيدنا الحسين . كان كلما أفرجت عنه السلطات . يطبع منشورًا ضد الحكومة . فيعود إلى المعتقل فى اليوم التالى ، لأنه يفضل عيشة المعتقل عن عيشة الحرية . والسبب أنهم جعلوا للمعتقلين راتبًا شهريًا قدره سبعة جنيهات ونصف لكل معتقل !

لكن الوحيدان اللذين رفضا هذا المرتب كانا أنور السادات وحسن عزت .. اللذين رأيا أن قبول مرتب من سلطات الاعتقال .. مسألة مهينة للكرامة !

* * *

● ذات يوم ..

تم تعيين قومندان جديد للمعتقل . وكان رجلاً عنيفًا . فصل من عمله أكثر من مرة . لكنه كان يعود إليه لأن عمه كان عضو مجلس شيوخ وفدى .

وحدثت بين أنور السادات والقومندان الجديد مشادة .

وانتهت هذه المشادة بأن جمع السادات المعتقلين . وأقاموا متاريس من السراير والأمتعة . وضعوها على السلم لتمنع أى شخص من الوصول إليهم .

وفوجئ السادات بالقومندان يحضر إلى زنزانته ويهدده وهو يحمل مسدسا فى يده ..

فقال له أنور السادات : إنت جبان .. وإلا كيف تهددنى بالسلاح وأنا أعزل ؟

وخرج القومندان من زنزانة السادات وذهب إلى حجرته وأحاطها بالجنود وظن أنه فى أمان .

لكن السادات قرر أن يؤدب ذلك الرجل المريض نفسيا !

فأخذ يقفز من زنزانة إلى أخرى. حتى دخل حجرة القومندان أخيرا من النافذة .

ونظر الرجل فوجد السادات أمامه فى قلب الحجرة ..

وأصيب قومندان السجن بالذعر .

● قال له أنور السادات : الآن أنت تغلق باب حجرتك على نفسك . الحراس يحرسون الباب . وتعتقد هكذا أنك فى أمان . لكن فى مقدورى الآن أن أخنقك . أو أفعل بك أى شىء . هل تفهم ؟

أعطى السادات درسا بليغا لقومندان السجن ..

ثم عاد من النافذة إلى زنزانته مرة أخرى !

★ ★ ★

عاشت حكمت فهمى سنة فى سجن الأجانب ..

ودفعت خلال هذه السنة ثمن وطنيتها باهظًا . فبعد الاستجوابات ، الإهانات والضغوط . ألقابها إلى داخل زنزانة .

وبدأت حكمت تعانى من الاحساس بالسجن تقييد الحرية . والعزلة الجبرية . وهى التى كانت تعيش حياة الطائر الحر الطليق . حياة الفنانة الشهيرة التى تقضى أيامها ولياليها تحت الأضواء . وورود المعجبين وهداياهم تفرش أى طريق تمشى فيه !

لكنها الآن فى زنزانة ..

الوحيد الذى تتحدث معه هو السجان !

● ساءت حالتها النفسية وتدهورت .

حتى إنها فى أحد الأيام أعلنت إضرابها عن تناول الطعام !

وحاولت صديقتها الراقصة الشهيرة بديعة مصابنى أن تتوسط للإفراج عنها . بوساطة سيدة معروفة كانت تتمتع بنفوذ كبير !

ولم تخرج حكمت فهمى من السجن . إلا بعد أن دفعت ٢٠٠ جنيه كرشوة لهذه السيدة !

أما « إبلر » الجاسوس الألمانى ..

فبعد انتهاء الحرب العالمية عاش فى أوروبا . يمارس رياضة قيادة السيارات فى سرعة جنونية . بجوار زوجته الجميلة « كلوس » .

ولم يبق له من ذكريات مغامرة الجاسوسية .. سوى أنفه المكسور !

أما زميله « مونكاستر » فقد طار بعد انتهاء الحرب إلى دار السلام فى إفريقيا . ليمارس هوايته كسائح أمريكى .

● أما أنور السادات ..

فقد بقى له فى هذه القصة الفصل الأخير المثير .

الذى يهرب فيه من المعتقل .

ثم يعود مرة أخرى بإرادته .. إلى المعتقل !

الفصل الأخير

رحلة هروب .. الحاج محمد !

لم يستسلم الضابط أنور السادات أبدًا للسجن . رغم محاولاته للتأقلم مع حياة المعتقل .

واتفق مـع زميلـه وحسن عزت علـى إثـارة الـرأى العــام فـى معتقل الزيتون . لاستعجال الافراج عنهما .

وقام السـادات وحسـن عزت بعمـل حركـة عصـيان اشترك فيهـا جميع المعتقلين .

لكـن جنـــود المعتقـل أطلقـوا عليهـم الرصــاص مــن حديقـة المعتقـل .

وكان السادات وحسن عزت يتوقعان هذا التصعيد .

فقرروا أن يعطيا الحكومة درسا لا تنساه من المعتقلين !

وقرر الاثنان أن يهرب ستة من المعتقلين !

وتم إعداد الخطة بدقة شديدة .

وكـان أفضـل وقـت للهروب هـو وقـت تغيير الحـراس فـى أول المساء . بسبب مـا يحدث فـى المعتقل سـاعتها مـن هرج ومـرج . وقـرروا أن تكـون وسيلة الهـروب بعمـل فتحـة فـى سـقف حجـرة الأرانب وكان من الخشب البغدادلى .

● وفى يوم الهروب ..

نصب أنور السادات سلما وتسلقه . وقام مع زملائه بعمل حفرة فى فجوة السقف . وبهدوء شديد خرج منهـا واستلقى حتى لا يراه أحد . ثم مد يـده يتسلم بقيـة زملائـه المعتقلين الهـاربين . وكـان زميله حسن عزت يقف فى الحجرة ويناولهم الواحد بعد الآخـر للسادات . وأخيرا صدر حسن عزت نفسه !

* * *

هبط الهاربون إلى الشارع دون أن يشعر بهم حراس السجن !

● كان الظلام حالكا ..

وكـان السـادات وحسـن عزت قد رتبـا مـن قبـل أن تكـون فـى انتظارهما سيارة « اولدزموبل » . ركبها الهاربون الستة وانطلقت بهم فى شوارع القاهرة فى جنح الظلام !

وكان حسن عزت فخورًا بالسيارة ..

فقـد قالـوا لـه أن كاوتش العجـلات جديد . وهـو أمر كان نـادرا فـى ذلـك الوقـت خـلال الحـرب . ولا يمكـن شـراء كـاوتش جديـد الا باذن من السلطات البريطانية !

لكن لم تكد السيارة تقطع كيلو مترا أو اثنين ..

وفرقع الكاوتش !

واقترح حسن عزت أن يذهبوا إلى أقرب ورشة لاصلاحه .

لكن أنور السادات رفض هذا الاقتراح .

● وقال لهم : اعملوا انتم ما يتراءى لكم .. فأنتم الذين ستظلون هاربين كما اتفقنا .. أما أنا ومحسن فعندنا خطة أخرى !

وكان محسن هذا شابا دمث الخلق . قضى سنوات طويلة من حياته فى فرنسا . فاقترح عليهم الذهاب إلى شقة سيدة فرنسية . عاشت فى مصر بعض الوقت مع صديق مصرى لها . ثم هجرها وبقيت هى فى شقتها الصغيرة بميدان الإسماعيلية ـ ميدان التحرير حاليًا ـ تنتظر انتهاء الحرب حتى تعود إلى وطنها !

ووافق السادات على الاقتراح ..

وذهبوا إلى شقة السيدة الفرنسية .

ودق محسن الجرس ففتحت الباب ورحبت بهم أحسن ترحيب . وحكى لها محسن القصة بالتفصيل . فتعاطفت معهم بكل كيانها . لكنها استنكرت بقية خطتهما التى كانت تقضى بأن يعودا إلى السجن فى الصبح .

ـ وقالت لهما : كيف تعودان إلى السجن بعد الحرية ؟ وبمحض ارادتكما؟ لقد اقتصدت ٢٠٠٠ جنيه هى كل ما أملك .. خذا المبلغ كله واهربا إلى أى بلد .. هيا انطلقا !

لكنهما رفضا اقتراح السيدة العظيمة شاكرين ..

وعادت لتقترح أن يختبئا عندها . وتتكفل هى بمصاريفهما مهما طال الوقت . لكنهما رفضا أيضًا شاكرين .

● وفى الصباح ..

استيقظا ليجدا مائدة الإفطار والجرائد !

تناول أنور السادات وزميله الإفطار .

وشكرًا السيدة الفرنسية . ثم هبطا إلى الشارع واستوقفا أول سيارة تاكسى مرت أمامهما .

سألهما السائق بعد أن ركبا : إلى أين ؟

● قال أنور السادات : إلى قصر عابدين !

* * *

هبط أنور السادات وزميله أمام البوابة الرئيسية لقصر عابدين الذى كان يعيش فيه الملك فاروق .

وبكل ثقة دخل الاثنان القصر . فى حجرة الاستقبال وجدا أحد أمناء القصر يقف أمامهما على طاولة دفتر التشريفات المفتوح .

وبنفس الثقة توجه أنور السادات وزميله إلى الدفتر ، وقيد كل منهما اسمه . قالا أنهما معتقلين فى معتقل الزيتون . وحضرا خصيصًا لكى يقولا للملك إن الحكومة يجب ألا تخضع للسلطة البريطانية . كما لا يجوز إطلاقا أن تعامل المعتقلين هذه المعاملة بالغة السوء !

وكتب الاثنان فى النهاية أنهما سيعودان إلى المعتقل بمحض ارادتهما . وأنهما قد هربا فقط لإبلاغ هذه الرسالة للملك . ولكى يقولا له إن أربعة من زملائهما قد هربوا معهما . لكنهم لن يعودوا إلى المعتقل مثلهما . بل سيظلون أحرارا يفعلون ما يريدون . رهائن خارج السجن مقابل حرية جميع المعتقلين .. وتحديا للسلطة !

ألقى التشريفاتى نظرة على هذا الكلام .. فأصابه رعب !

وهرع إلى الأمين الأول يبلغه بما حدث . وجاء الأمين الأول كان اسمه بدر . وتصادف أنه كان يعرف أنور السادات . من معتقل « فاقوسة » بالصعيد . لأنه فى ذلك الوقت كان يعمل مديرا للمنيا .

- وقال لهما : هذا عمل جنونى .. وسوف يثير أزمات وأزمات

● رد عليه السادات : سوف نعود فورا إلى المعتقل . ولك أن تفعل ما تشاء !

وعلى مرأى من الجميع ..

استدار أنور السادات وزميله وغادرا قصر عابدين .

ثم استقلا سيارة تاكسى انطلقت بهما إلى معتقل الزيتون .

ودق الاثنان باب المعتقل .

وعندما فتحوا لهما .. قاما بتسليم نفسيهما !

ولم تكن سلطات المعتقل قد اكتشفت حادث الهروب إلا صباح اليوم التالى .

وجاء وكيل نيابة ليحقق فى حادث الهروب ..

لكن النتيجة أنه تم نقل قومندان السجن ..

وتحسنت معاملة المعتقلين بشكل ملحوظ !

* * *

ولم تكن هى محاولة الهروب الأخيرة التى قام بها أنور السادات . بل كانت هناك محاولة أخرى . تمكن فيها بالفعل من الهرب . لكنه لم يعد كما حدث فى المرة الأولى بإرادته إلى المعتقل . بل هرب ليعيش فترة هروب مؤثرة فى حياته .

فقد مضت به سنة ١٩٤٣ فى معتقل الزيتون .

وكادت السنة التالية تنتهى وهو داخل المعتقل . كانت حكومة أحمد ماهر قد أفرجت عن العديد من المعتقلين فى معتقل الزيتون . الذين ينتمون إلى حزب الكتلة . كما تم الافراج عن أعضاء حزب مصر الفتاة المعتقلين ومعظم الحزبيين فى المعتقل .

هكذا تم الافراج عن الكل .. ماعدا أنور السادات وعدد قليل من المعتقلين !

وأخذ السادات يحرض زملاءه حتى أعلنوا إضرابًا عن الطعام فى المعتقل . لكنهم بعد فترة لم يتحملوا الجوع . فعادوا إلى تناول الطعام ، ماعدا السادات الذى لم يتنازل مطلقا عن الإضراب .

وحسب القانون اضطروا إلى نقله إلى مستشفى قصر العينى لكى يكون تحت العناية الطبية . هناك أوقف السادات إضرابه .

كان زميله حسن عزت قد تم القبض عليه وأودع فى معتقل المنيا . لكنه تمكن من الهرب . وجاء ذات يوم ليزور أنور السادات فى مستشفى قصر العينى .

وسأله : ماذا تفعل هنا .. لا بد من تدبير خطة لهروبك !

وبالفعل دبر السادات وحسن عزت خطة الهروب ..

كان المستشفى ساعة الظهيرة يزدحم بآلاف الداخلين والخارجين . وأحضر حسن عزت سيارته « الأوستن » . ووضعها تحت مظلة سيارات الأطباء . وترك موتور السيارة دائرا .

وخرج المريض المعتقل أنور السادات إلى فناء المستشفى وخلفه حارسه !

وفى الزحام تمكن أنور السادات من أن يتوارى بعيدا عن الحارس . هرع إلى سيارة حسن عزت . الذى انطلق بالسيارة فى لمح البصر !

* * *

فى منطقة فم الخليج بمصر القديمة ..

اختبأ أنور السادات فى شقة كان حسن عزت قد جهزها .

وعاش أنور السادات بعد هروبه من مستشفى قصر العينى سنة كاملة هاربا من وجه العدالة !

وكانت هذه السنة من حياته مليئة بالأحداث المثيرة الغريبة . فقد كان لا بد أن يعمل لكى يجد لقمة العيش لنفسه ولأولاده . فأطلق لحيته ليخفى ملامحه . وسمى نفسه « الحاج محمد » !

وكان أول عمل قام به السادات هو العمل « حمالا » على عربة لورى كان يملكها زميله حسن عزت . وبدأ مع سائق اللورى يعملان لحساب تاجر اسمه غويبة . كان متعهدا للجيش البريطانى فى الإسماعيلية .

وكلفه هذا التاجر بنقل الخضر والفاكهة إلى معسكر الإنجليز فى التل الكبير . وكانت أول شحنة يقوم السادات بتسليمها كمية من أسوأ أنواع البرتقال !

ودهش السادات من ذلك . لكنه سرعان مااكتشف أن هناك اتفاقا بين المتعهد ومسئول التموين بالجيش الإنجليزى على الغش !

كانت رحلة هروب صعبة ومثيرة بالفعل ..

فبعد ذلك عمل أنور السادات فى نقل الأحجار « الدبش » من المراكب الآتية عبر النيل . إلى طريق القاهرة ـ اسوان . الذى كان يجرى رصفه فى تلك الأيام .

كان السادات يعمل ويقيم فى بلدة مزغونة المطلة على النيل ..

وكان يعمل من مطلع الفجر إلى غروب الشمس . عمل صعب وشاق . ليهرع فى نهاية اليوم إلى مطعم صغير . يتناول فيه شوربة العدس الساخنة فى برد الشتاء القارس !

* * *

وكان الهروب يعنى ألا يستقر أنور السادات فى مكان واحد طويلاً !

فانتقل إلى بلدة أبو كبير فى الشرقية . ليعمل فى مشروع شق ترعة الصاوى . وسكن فى غرفة غفير عزبة طلعت .

كان سقف الحجرة من حطب القطن !

وفـى ليلـة مـن ليـالى الشـتاء أمطرت السـماء مطـرا شـديدا . فاخترق الماء سقف الحجرة وبدأ يتساقط على أنور السادات !

وغطى رأسه وجسده بقماش خيمة صغيرة كان يحملها معه دائما . نام تحت قماش الخيمة ولم ينقطع المطر طوال الليل . والسادات تحت قماش الخيمة يسمعه يضرب القماش بعنف أطار النوم من عينيه !

ورغم ذلك فقد نام السادات نوما عميقا فى تلك الليلة .

استيقظ فى الصباح ليجد الخفير الذى كان يجامله بـأن يقدم لـه كل صباح اللبن الزبادى . أو اللبن « المقرر » . فيتناوله السادات دون أن يعلم أن معدته ليست سليمة . وأن اللبن بالتحديد من أكثر الأشياء التى تضر بها .

وانتهى مشروع شق الترعة ..

ومرة أخرى وجد الهارب أنور السادات نفسه بلا عمل !

لكنه سرعـان ما وجد عملا آخر . فى بلدة سنور شرق النيـل . جنوب بنى سـويف فـى صعيد مصـر . وسـط الصحـراء القاحلـة . كانت هنـاك شركة مصر للمنـاجم والمحـاجر . التـى تملك امتيـاز منجم الرخام الألباستر الوحيد الموجود فى تلك المنطقة .

• عمل السادات فى منجم الرخام هذا ..

وكان منجما قديما يعمل من أيام الفراعنة . ثم أهمـل إلـى عهد محمد على . الذى أعاده إلى العمل وبنى منه مسجد القلعـة . كـان المنجم يبعد عن شـاطئ النيل بحـوالى ٥٠ كيلومترًا . لكن محمد على أقام استراحات فى الطريق . تبعد كل منهـا عن الأخـرى ١٧ كيلومترا . وبقايا هذه الاستراحات مازالت موجودة رغم الزمن .

لكن الهارب أنور السادات فى تلك المرة كان يعمل مقـاولا لنقل الرخام .

والغريب أن الاستراحة التى بناها الملك فاروق لنفسه فى الهرم ـ وقد تحولت فيما بعد إلى كازينو ـ قطع أنور السادات أحجارها . ونقلهـا مـن المحجر إلـى منطقـة الأهرامـات . لكـى يبنـى فـاروق استراحته !

★ ★ ★

• انتهت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ ..

بانتهاء الحرب سـقطت الأحكام العرفيـة . كان هـذا يعنى أيضًا انتهاء فترة هروب اختفاء الضـابط الشـاب أنـور السـادات . وهـى الفترة التى وصلت إلى حوالى ثلاث سنوات !

● وهكذا بعد ثلاث سنوات من التشرد والحرمان ..

عاد أنور السادات إلى بيته . وارتدى ملابسـه التى يعرفه بها أهله وأصحابه .

وبدلا من أن يركن إلى الهـدوء والدعة بعد معاناته الطويلة . سرعان ما عاد إلى الشىء الوحيد الذى كان يطغى على كيانه فى تلك الأيام . هو الكفاح ضد الإنجليز من أجل وطنه !

لم تكن قد مضت سوى أيام قليلة على خروجه إلى الحياة العادية من حياة التنكر والهروب . حتى اتصل بعمر أبو على . شقيق صديقه الطيار الراحل أحمد سعودى . وعرفه عمر على شاب اسمه حسين توفيق كان يقتل الجنود الإنجليز فى المعادى .

وكون السادات جمعية وطنية سرية ..

ودرب أفرادها على استعمال القنابل اليدوية .

وقررت الجمعية اغتيال أمين عثمان . الذى كان أكثر من صديق للإنجليز ومساندا لبقائهم فى مصر .

وقاموا بالفعل باغتيال أمين عثمان !

ومن جديد تم القبض على أنور السادات.

ولكن تلك .. حكاية أخرى !

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء الغامض .
2 - سباق الموت .
3 - قناع الخطر .
4 - صائد الجواسيس .
5 - الجليد الدامى .
6 - قتال الذئاب .
7 - بريق الماس .
8 - غريم الشيطان .
9 - أنياب الثعبان .
10 - المال الملعون .
11 - المؤامرة الخفية .
12 - حلفاء الشر .
13 - أرض الأهوال .
14 - عملية مونت كارلو .
15 - إمبراطورية السم .
16 - الخدعة الأخيرة .
17 - انتقام العقرب .
18 - قاهر العمالقة جـ١ .
19 - أبواب الجحيم جـ٢ .
20 - ثعلب الثلوج .
21 - مضيق النيران .
22 - أصابع الدمار .
23 - فارس اللؤلؤ .
24 - الضباب القاتل .
25 - الخنجر الفضى .
26 - آخر الجبابرة .
27 - الجوهرة السوداء .
28 - قلب العاصفة .
29 - الصراع الشيطانى .
30 - الرمال المحرقة .
31 - الخطوة الأولى .
32 - خيط اللهب .
33 - القوة (أ) .
34 - مارد الغضب .
35 - قراصنة الجو .
36 - ذئب الأحراش .
37 - مخلب الشيطان .
38 - لعبة المحترفين .
39 - أعماق الخطر .
40 - مهنتى القتل .
41 - الانتحاريون .
42 - الهدف القاتل .
43 - المخاطر .
44 - العين الثالثة .
45 - القضبان الجليدية .
46 - لهيب الثلج .
47 - الرصاصة الذهبية .
48 - شيطان المافيا .
49 - الضربة القاضية .
50 - مهمة خاصة .
51 - سم الكوبرا .
52 - جبال الموت .
53 - ذئاب ودماء .
54 - رحلة الهلاك .
55 - أفعى برشلونة .
56 - الفهد الأبيض .
57 - عملية الأدغال .
58 - إعدام بطل .
59 - انتقام شبح .
60 - دونا كارولينا .
61 - ملائكة الجحيم .
62 - ملك العصابات .
63 - الجاسوس .
64 - تحت الصفر .
65 - الجليد المشتعل .
66 - ألف وجه .
67 - الجحيم المزدوج .
68 - قلعة الصقور .
69 - أجنحة الانتقام .
70 - أباطرة الشر .
71 - ضد القانون .
72 - شريعة الغاب .
73 - المعتقل الرهيب .
74 - الدائرة الجهنمية .
75 - أسوار الجحيم .
76 - النهر الأسود .
77 - عمالقة مارسيليا .
78 - صحراء الدم جـ١ .
79 - صفقة الموت جـ٢ .
80 - وكر الإرهاب جـ٣ .
81 - الرجل الآخر جـ١ .
82 - الأخطبوط جـ٢ .
83 - معركة القمة جـ٣ .
84 - جزيرة الجحيم .
85 - لمسة الشر .
86 - الثعلب .
87 - خط المواجهة .
88 - سفير الخطر .
89 - قبضة السفاح .
90 - الهدف .
91 - الوجه الخفى .
92 - الخطر .
93 - أرض العدو .
94 - كتيبة الدمار .
95 - الصراع الوحشى .
96 - المعركة الفاصلة .
97 - الصقر الأعمى .
98 - القناص .
99 - مذاق الدم .
100 - الضربة القاصمة .
101 - انقلاب .
102 - نهر الدم .
103 - المحترف .
104 - الإعصار الأحمر .
105 - عقارب الساعة .
106 - الأفعى .
107 - اتحاد القتلة .
108 - الفخ .
109 - قبضة الشر .
110 - اغتيال .
111 - معبد الجريمة .
112 - الفريق الأسود .
113 - رياح الخطر .
114 - ممر الجحيم .
115 - بلا رحمة .
116 - مهرجان الموت .
117 - عمالقة الجبال .
118 - الأربعة الكبار .
119 - فوق القمة .
120 - الستيورا .
121 - وجه الأفعى .
122 - الأصابع الذهبية .
123 - المستحيل .
124 - اللمسة الأخيرة .
125 - عملية النيل .
126 - ساعة الصفر .
127 - نقطة الضعف .
128 - الصحوة .
129 - القراصنة .
130 - محيط الدم .
131 - الحدود .
132 - فريق المستحيل .
133 - نمور الثلوج .
134 - الأبطال .
135 - الأستاذ .
136 - المغامرة الكبرى .
137 - مدينة الذئاب .
138 - الضحايا .
139 - الوحش الآدمى
140 - المواجهة الأخيرة .
141 - رمال ودماء .
142 - رجل وجيش .
143 - الأوراق المكشوفة .
144 - المحترفون .
145 - الورقة الأخيرة .
146 - المأزق .
147 - الغامضة .
148 - الخطة (ب) .
149 - المصيدة .
150 - النهاية .

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٠٦٩٨

الترقيم الدولى : ٨ ـ ٠٩٨ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧

تشرشل اقنع الجاسوسين



الجاسوس الألمانى (إبلر) — الجاسوس مونكاستر



سهرات الكيت كات .. أوقعت بالجاسوس الألمانى



حكمت فهمى وشموع الذكريات



عندما كانت تكتب ذكرياتها



حكمت فهمي في شبابها



كانت أيام !



الجاسوسة اليهودية (إيفت)



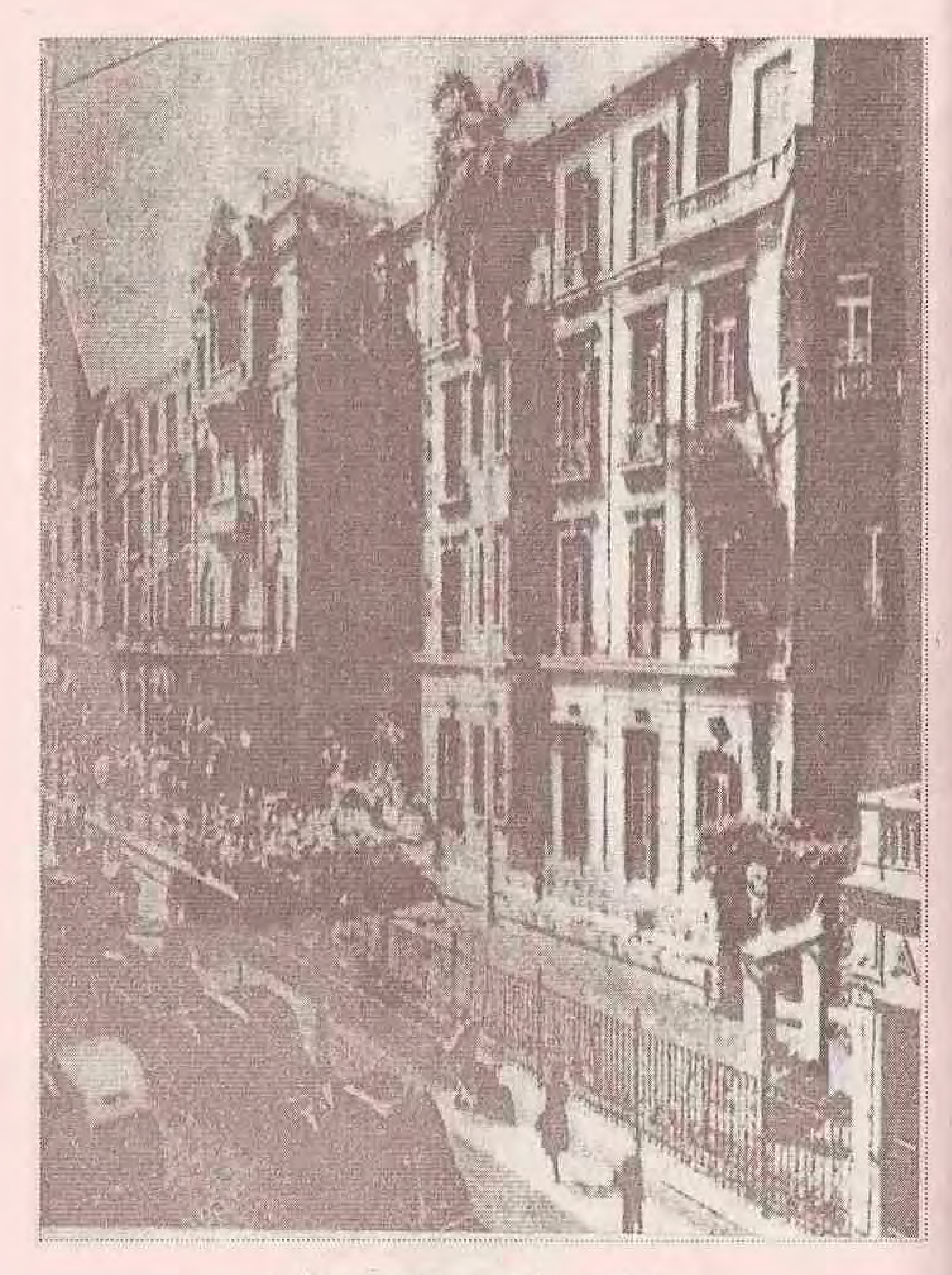
الجاسوس (إبلر)



حكمت فهمي .. تستعيد ذكريات القضية



حكمت فهمي ترقص رقصة الموت



فندق شبرد كان مقر الجواسيس الألمان



حكمت فهمي مع ابنها



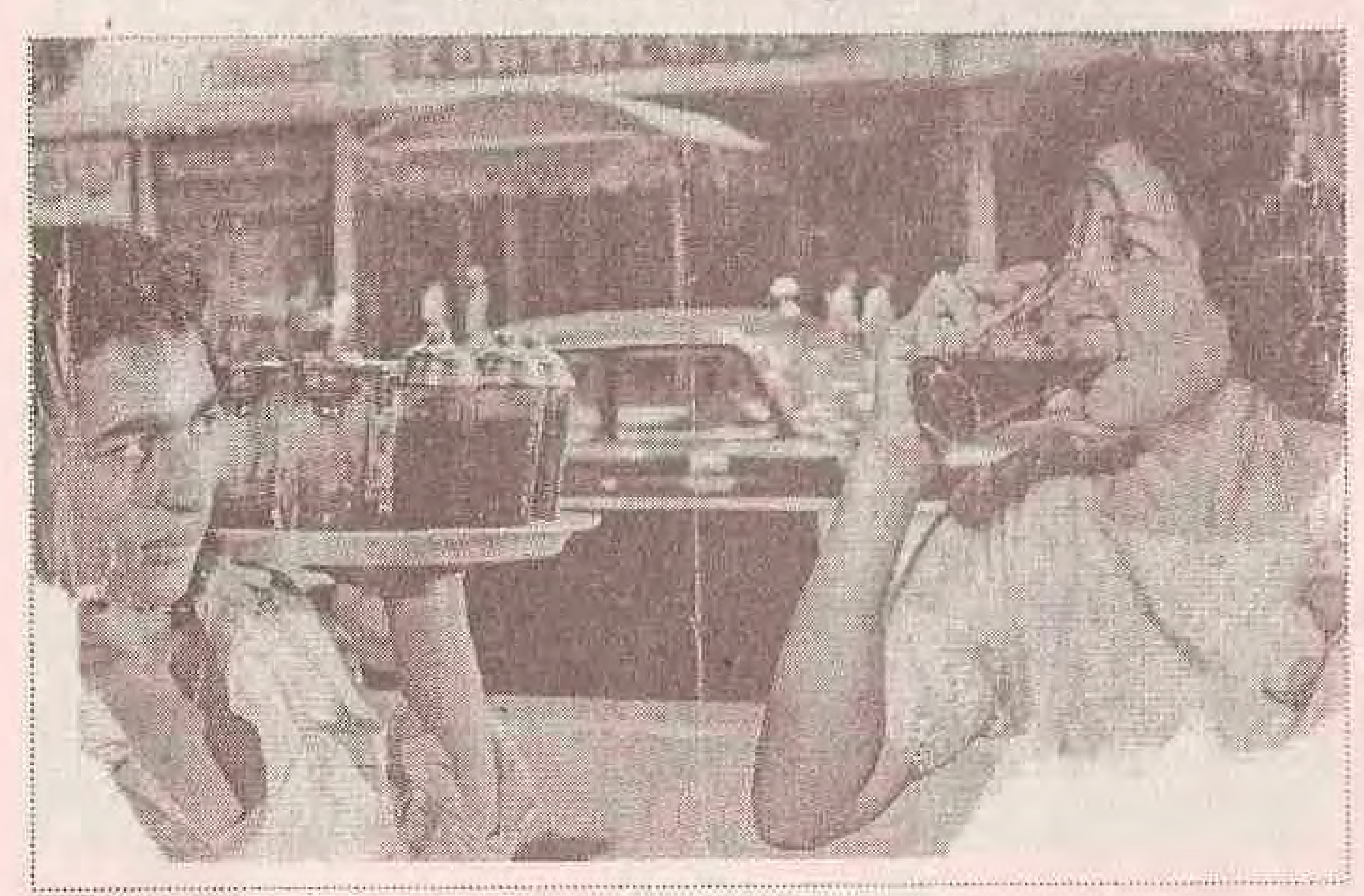
حكمت فهمي



أنا حكمت فهمي !



حكمت فهمى تروى ذكرياتها قبل الرحيل



حكمت فهمى فى الشارع



حكمت فهمى



آه من الزمن .. والذكريات



رسم يصور هجوم القوات البريطانية على عوامة الجاسوس (إبلر)



ضباط قيادة المخابرات البريطانية

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة
التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

- هى قصة مثيرة بالفعل .
- قصة ضابط مصرى شاب ، عشق بلاده وعمل من أجل حريتها ، ودفع ببسالة ثمن الوطنية .
- إنها قصة أنور السادات فى شبابه مع الراقصة حكمت فهمى ، والجواسيس الألمان ، خلال الحرب العالمية الثانية .
- قصة انتهت بقصص أخرى أكثر إثارة .
- وهى قصة .. من تاريخ مصر .



الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم


طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢

